

كتب الفراشة - القصص العالمية



شيري



كتب الفراشة - القصص العالمية

شيرلي



تأليف : شارلوت برونتي

ترجمة : زينه ديكاب

مراجعة : هاني تابر



مكتبة لبثات ناشرون

مَكْتَبَةُ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ ش.م.ك.

زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢ - ١١

بيروت - لبنان

وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

© الحقوق الكاملة محفوظة

لمكتبة لبنان ناشرون ش.م.ك.

الطبعة الأولى ١٩٩٥

رقم الكتاب 01 C 196817

طبع في لبنان



مقدمة

وُلِدَتْ شارلوت برونتي في يوركشير وقضت معظم أيامها في هاورث في بيت أبيها قس المنطقة. كان المكان موحشاً، شديد الرطوبة مطلقاً على مدافن القرية، لكنه مُحاطُ بمُرْتَفَعَاتِ يوركشير الرومنسية الفاتنة. وكانت شارلوت في طفولتها تُلْعَبُ وإخوتها في تلك الجُرود التي تعصفُ بها الرياحُ باستمرارٍ، فكانت هذه المنطقة وحياً لإطار مسرح الأحداث في رواياتها. وأكثرُ ما يبرزُ ذلك في رواية «شيرلي» [Shirley]، فهي تدورُ في قرية بمنطقة يوركشير التي يقطعها مزارعون يحترفون تربية الماشية، وتتميز أهلها بالتصاقهم ببيوتهم وحبهم لمنطقتهم.

وقد وضعت شارلوت برونتي كتابها هذا سنة ١٨٤٨ إثر نجاح أول رواية نُشِرت لها «جين إير» [Jane Eyre]. وكانت إنكلترا إذ ذاك تمرُّ بمرحلة التصنيع. وما يميز هذه الرواية هو كونها أول رواية إنكليزية تدور حول تلك المرحلة.

وتعود أحداث القصة إلى عام ١٨١٢، عندما بدأ أبناء الريف يشعرون بتأثير الثورة الصناعية. كان والد شارلوت يتذكر يوركشير قبل ثلاثين عاماً، وربما سرّد لها قصصاً عن مُحْطَمِي الآلات: فقد صُنِعَتْ آلات تحوّل الأيسجة بفاعلية أكبر من الطريقة اليدوية القديمة، وبتكلفة أقل. فاعتبر جماعة من العمال أن الآلات الحديثة تُفْضِي إلى تناقص الطلب على اليد العاملة، وقرروا مُحْطِمِ هذه الآلات في محاولة عقيمة لوضع حدٍ للتطور. ومُحْطَمِ الآلات

الذين تحدّث عنهم شارلوت بروثي في الرواية هم جميعهم من أبناء المنطقة. أما روبرت مور، صاحب المصنع فقريب عن المنطقة، لذلك لم يثنوا به. كانت شارلوت بروثي تعطف على هؤلاء المساكين بالرغم من عدم موافقتها على تصرفهم العنيف، ورأت ضرورة التوفيق بين حقوق العمال وحاجات صاحب المصنع. وبالفعل، يقتنع روبرت مور، في نهاية الرواية، بضرورة تحسين أجور عماله، بينما يتقبل هؤلاء الاستعانة بالآلات الحديثة.

لقد برز عدد كبير من الروايات في القرن التاسع عشر اهتمت اهتماما بالغاً بدور المرأة في المجتمع الفكتوري، فشارلوت بروثي انتقدت بعنف سوق الزواج أي التقاليد التي تحصر مستقبل المرأة في الزواج فتحول دون ممارستها أي مهنة أو الشغل باستقلالية الشخصية. فكارولين، في الرواية، ترغب في الحصول على عمل حقيقي لأن الأعمال المخصصة للنساء، على غرار الخياطة والمطالعة والأعمال الخيرية لا ترضيها، فتحاول أن تصبح مربية لكنها تضطرم برفض كل المحيطين بها. أما شيرلي كيلدار فامرأة قوية، مستقلة بفضل ثروتها ومركزها الاجتماعي، لكنها ستفقد شيئاً من حريتها بعد الزواج. وقد آمنت شارلوت بروثي بالزواج عن حب (على غرار الزوجين اللذين تمّا في نهاية الرواية) ورفضت فكرة الزواج من أجل المكانة الاجتماعية أو لغياب أي خيار آخر.

وتنتهي الرواية بشكل إيجابي بدعوة إلى الأمل والتفاؤل. فشارلوت بروثي أظهرت أن بإمكان حركة التطوير الصناعي أن تكيف والقيم التقليدية وذلك لمصلحة الجميع. ولكن، فوق كل شيء، تبنى البيئة هي هي، رمزاً لقوى الطبيعة الثابتة والتي نادراً ما تستطيع جهود الإنسان أن تغيرها.



شـيرلـيـت



تُصْلَحُ تِلَالُ غَرْبِ يُونِكْشِرَ وَجُرُودُهَا الْمُتَمَتِّدَةُ عَلَى مَدَى الْبَصَرِ، لِتَرْبِيَةِ الْخِرَافِ أَكْثَرَ
مِمَّا تُصْلَحُ لِتَرْبِيَةِ الْبَقَرِ، لِذَلِكَ كَانَ إِتْنَاجُ الصُّوفِ وَالْقُمَاشِ الصُّوفِيِّ مَصْدَرُ الْعَيْشِ
الرَّئِيسِيِّ لِأَهْلِ تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ، مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ. وَكَانَتْ الْمَصَانِعُ تُبْنَى فِي الْأُودِيَةِ، عَلَى
مَقَرَّبَةٍ مِنَ الْجَدَاوِلِ، فَتُسْتَحْدَمُ قُوَّةُ الْمِيَاهِ فِي تَحْرِيكِ الدُّوَالِبِ الْكَبِيرَةِ وَتَشْيِيرِ آلَاتِ
الْحَيَاكَةِ الْبَسِيطَةِ. وَازْدَهَرَتْ أَحْوَالُ أَصْحَابِ الْمَصَانِعِ وَتَوَافَرَتْ فُرُصُ الْعَمَلِ لِأَهْلِ
الْمِنْطَقَةِ.

إِلَّا أَنَّ الْأَحْوَالَ بَدَأَتْ تَتَغَيَّرُ بِسُرْعَةٍ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ. فَرَأَتْ الْأَسْعَارُ
وَالضَّرَائِبُ تَرْتَفِعُ لِتَتِمَكَّنَ الدَّوْلَةُ مِنْ مُتَابَعَةِ الْحَرْبِ النَّابُولِيُونِيَّةِ الْقَائِمَةِ، وَفَرَضَتِ الْحُكُومَةُ
حِصَارًا بَحْرِيًّا حَالَ دُونَ التَّجَادُلِ التَّجَارِيِّ بَيْنَ أوروپَا والدُّوَلِ الْمُحَادِدَةِ. وَأَثَارَ هَذَا الْإِجْرَاءِ
سُخِّطَ أَمِيرِكََا حَتَّى إِنَّهَا كَفَّتْ عَنْ اسْتِبْرَادِ الصُّوفِ وَالْأَنَسِجَةِ مِنْ إِنْكَلْتَرَا، فَأَخَذَتْ
الْبِضَاعَةَ غَيْرَ الْمُبَاعَةِ تَتَكَدَّسُ فِي مَصَانِعِ يُونِكْشِرَ وَمُسْتَوْدَعَاتِهَا، وَصُرِفَ الْعَمَالُ
وَاضْطُرَّتْ عِدَّةُ مَصَانِعَ لِلْإِفْقَالِ، فَانْتَشَرَ الْبُؤْسُ وَغَمُّ الْعَوْرِ.

بالإضافة إلى ذلك، شكّلت مصانع سبك الحديد تهديداً آخر لسكان المنطقة، لأنها أنتجت آلات حياكة كبيرة الحجم، من شأنها أن تُخفّض عدد العمال بشكل ملحوظ. وبفضل تلك الآلات تحسّنت نوعية الأنسجة، لا بل صيغت بطريقة أسرع وبكلفة أقل مما كانت عليه سابقاً. وقد أثار هذا التجديد سُخط العمال، فأخذوا يحاربونه بتأسيس حركة «اللوديت» التي تعهّدت بتخطيم الآلات الحديثة.

وفي إحدى أمسيات الشتاء بدأ مصنع هولو في الوادي ساكناً، لكنّ شعاعاً تسرب من نافذة غرفة المحاسبة، وكان يصبغ النور الوحيد وسط ظلمة تلك المنطقة، بينما كانت مصاهر الحديد في مصانع ستيل يورو تبعث نوراً متوهجاً في الأفق، ناحية الشرق.

كان صاحب المصنع روبرت مور منهمكاً بمراجعة حساباته والتفكير بكيفية التغلب على الصعوبات المتفاقمة التي تواجهه. وروبرت هذا رجل عذب في الحادية والثلاثين، وسيم، طويل القامة، أسمر البشرة. والغريب فيه لهجة شبه الأجنبية، إذ يجري في عروقه دم بلجيكي ودم إنكليزي. فقد كان جدّه تاجر صوف في يوركشير وشريكاً لبسطنطين

جيرار في أنتويرب في بلجيكا. وقد تزوّج ابنة من ابنة جيرار، وساهم في إدارة المصنع الذي توقّف بعد الثورة الفرنسية وما تلاها من حروب في أوروبا.

أنجب لهُذان الزوجان ثلاثة أولاد: روبرت، وأخته أورتانس التي تُدير شؤون منزلها في يوركشير، والأخ الأصغر لويس. ونال الأخوة الثلاثة تربية صالحة، فأصبح لويس مدرّساً، أما روبرت فأزّمع أن يُعيد تأسيس مصنع العائلة في يوركشير ساعياً إلى الفاعلية والتطور في الإنتاج بقرم ثابت. لذلك تعرّض لبعض أهل المنطقة. وما لبث أن طُفح الكيل إثر قراره الحازم باعتماد الآلات الحديثة، فعقد العمال بينهم على تخطيمها.

وبينما كان روبرت مور جالساً أمام الموقد في غرفة المحاسبة، تلك الليلة، سمع صوت عربة تقرب، فأمل أن تكون حاملة بعض الآلات للمصنع.

نهض متلهفاً وسأل: «أهذا أنت يا جوه؟ ولم يسمع سوى وقع أقدام تعدو، فهزّول إلى الخارج، ورأى العربة متوقفة والحياد تلهث بشدة، ولا أثر لإنسان أو لآلة. وقع نظره على ورقة موضوعة على مقعد السائق وتحمل الرسالة التالية:



إلى مور، صاحب مصنع (هولي):

آلاتك الشيطانية مُحَطَّمَةٌ في أرض سبل بورو ورجالك مُقَيَّدُونَ ومَطْرُوحُونَ في القنارة على جانب الطريق. لِيَكُنْ ذَلِكَ بِمِثَالِيَّةٍ تُحذِرُكَ. فَإِذَا حَصَلَتْ عَلَى آلَاتٍ أُخْرَى حَطَّمْنَاهَا أَيْضًا!

نَزَعَ مور الشَّرِجَ عَنِ الْجِيَادِ، وَعَلَقَهَا وَقَادَهَا إِلَى الْإِسْطَبَلِ. ثُمَّ قَرَعَ جَرَسَ الْإِثْدَارِ وَأَشْعَلَ أَثْوَارَ الْمَصْنَعِ. وَمَا إِنَّ وَضَعَ الشَّرِجَ عَلَى حِصَانِهِ حَتَّى وَصَلَ جَارُهُ الْأَبُ هَلْستون، قَتَبِسُ أُبْرُشِيَّةِ «برايرفيلد» مُنْطَبِئًا جَوَادَةً، فَأَخْبَرَهُ مور بِمَا جَرَى.

وَسَمِعَ جَرَسُ الْإِثْدَارِ فِي تَوَلٍّ رِذْهَافُسٍ فَاسْرَعَ بَعْضُ عُمَّالِ مور الْمُخْلِصِينَ لِتَقْدِيمِ الْمُسَاعَدَةِ، لِأَنَّ مَضَرَ رِزْقِهِمْ بَاتَ فِي خَطَرٍ. بَقِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَصْنَعِ لِتَأْمِينِ جَمَائِيَّتِهِ.



بَيْتًا التَّحَقَّ بَعْضُهُمُ الْآخَرُ بِمُورَ وَالشَّيْءُ هَلَسْتُمْ لِإِنْقَادِ الرِّجَالِ الَّذِينَ أَتَوْا فِي الْقَنَاةِ.
مَا لَيْتَ رِجَالَ الْإِنْقَادِ وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى سَبِيلِ بُوْرُو. أُنِ الثَّقَوُا بِعَرَبِيَّةِ آيَةِ نَحْوَهُمْ.
فَسَأَلَ الشَّيْءُ مُورَ بِصَوْتٍ جَهَوْرِيٍّ: «هَلْ أَنْتَ جَوْ سَكُوت؟»

وَأَتَى الْجَوَابُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ: «كَلَّا. أَنَا الشَّيْءُ يُوْرُك. لَقَدْ أَتَقَذْتُ جَوْ سَكُوت. فَبَيْتًا
كُنْتُ أَقُوْدُ الْعَرَبِيَّةَ سَمِعْتُ أَنِنَا وَصُرَاخًا آيِنَا مِنْ جَانِبِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ جَوْ وَأَرْبَعَةً مِنْ
رِفَاقِهِ مُكَبِّلِينَ وَمُرْمِيِينَ فِي الْقَنَاةِ. إِنَّ جَوْ يُرَافِقُنِي. أَمَّا الْآخَرُونَ فَيَبْعَوْنَنَا سَيْرًا عَلَى
الْأَقْدَامِ... وَالْآنَ وَقَدْ أَصْبَحْنَا تِسْعَةَ رِجَالٍ، أَقْتَرِحُ أَنْ نَعُودَ أَذْرَاجَنَا وَنُطَارِدَ الْمُعْتَدِينَ.»
هَتَفَ مُورُ: «أَجَلْ، فَلْنَلْحَقْ بِهِمْ عَلَى الْفَوْرِ. أَوَكُذُّ لَكَ أَنَّ عِقَابَهُمْ سَيَكُونُ فِي غَايَةِ
الْقَسْوَةِ.»

قَالَ الشَّيْءُ يُوْرُك بَعْدَ لَحْظَةٍ مِنَ التَّفَكُّيرِ: «تَمَهَّلْ! رُبَّمَا كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَلَّا نَسْمَادِي
فِي اسْتِغْرَازِهِمْ! فَبَعْدَ التَّرَوِّي أَقْتَرِحُ أَنْ تَأْتُوا جَمِيعًا إِلَى مَنَزِلِي لِتَنَاوُلِ الْمُرَطَّبَاتِ.»
وَأَقْتَرَحُوا عَلَى الشَّيْءِ يُوْرُك وَتَبِعُوا عَرَبِيَّتَهُ إِلَى مَحَلٍّ إِقَامَتِهِ الْمَعْرُوفِ بِمَنَزِلِ
بِرَايَرْمِيْتَر، وَهُوَ مَقَرُّ رِيفِيٍّ صَحْبٍ يُعَبِّرُ بِأَنَانِيهِ عَنْ ذَوْقِ رَجُلٍ مُثَقَّفٍ - كَثِيرِ الْأَسْفَارِ - يَجْمَعُ
حُسْنَ الذَّوْقِ إِلَى الْعِلْمِ. فَالشَّيْءُ حَبْرَامُ يُوْرُك يَنْتَسِي إِلَى عَائِلَةٍ مِنْ أَغْنَى الْعَائِلَاتِ وَأَهْلَتِهَا
فِي الْمِنْطَقَةِ.

وَفِي مَنَزِلِ الشَّيْءِ يُوْرُك قَبْلَ رُوبَرْتِ مُورِ الْمُرَطَّبَاتِ، أَمَّا الْأَبُ هَلَسْتُمْ فَرَفَضَهَا: إِذَا كَانَ
بَيْتُهُ وَبَيْنَ مُضَيِّفِهِ عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ تَعُودُ إِلَى أَيَّامِ الصَّبَا الرُّومَنِيَّةِ أَسَاسُهَا حُصُولُ الْقِتَاسِ عَلَى
يَدِ فِتَاةٍ مِنَ الْمِنْطَقَةِ كَانَ الشَّيْءُ يُوْرُك يَعِدُّ نَفْسَهُ بِهَا. فَلَمْ يُسَامِحْهُ يُوْرُك عَلَى عَمَلِهِ هَذَا.
قَالَ الشَّيْءُ يُوْرُك مُوَجِّهًا كَلَامَهُ إِلَى مُورَ: «إِقْبَلْ نَصِيحَتِي يَا رُوبَرْت، إِنَّكَ بِتَصَرُّفِكَ هَذَا
تُكْثِرُ مِنْ أَعْدَائِكَ!»

فَأَجَابَ مُورَ بِلَهْجَةٍ لَادِغَةٍ: «لَا يُهَيِّئُنِي إِذَا كَانَ رِجَالُ يُوْرُكْ كَثِيرٌ يَكْرَهُونَنِي أَوْ لَا.»
وَأَرْدَفَ يُوْرُكَ قَائِلًا: «إِذَا كَانَ هَذَا شُعُورَكَ، فَمِنْ الْأَجْدَرِ بِكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى أَنْتِرُوبِ.
فَأَبُوكَ لَمْ يَرِ الْأُمُورَ قَطُّ عَلَى هَذَا الشَّخْوِ.»



دالما بما تُفكرُ فيه. فضلاً عن أننا لشنا أغبياء كما يعتقد أهل الجنوب.

عند الساعة السادسة وصل بضعة عمال، وواصلوا عملهم حتى الساعة الثامنة، فتوقفوا عن العمل نصف ساعة لتناول الفطور. وقطع روبرت المسافة التي تفصله عن منزله المجاور للمضجع، وهو بيت صغير مطلي بالأبيض، أما لون الشرفة والباب فأخضر، وأمام البيت مزجعة صغيرة وأخوض أزهار، كان روبرت يحب الاعتناء بها. فأخذ يقلب التراب بالرشف. وبعد قليل دعتة أخته أورتانس للدخول وتناول الفطور.

وأورتانس تكلم أخاها بضع سنوات، وهي طويلة القامة، تميل إلى البدانة وترتدي في الصباح فستانها المجهود ذا الطراز البلجيكي لأنها تُصر على الاحتفاظ بعادات البلاد التي ولدت فيها. وهي امرأة فطنة وقورة، وكانت تشبث بأرائها وتنفعل بسهولة لأسباب تافهة. ولم تكن سعيدة في إنكلترا، إلا أنها وجدت العزاء في الصداقة التي كانت تربطها بجارتها كارولين هلسون ابنة أخي الأب هلسون.

كانت أورتانس مور تُلقي كارولين اللغة الفرنسية. فشأت بينهما صداقة دعمتها قرابة عائلته بعيدة بينهما.

والواقع أنه كان هناك ثبات بين مواقف الرجال الثلاثة: فالسيد هلسون يُصبر عداوة شرسة للعمال الساجطين المتمردين، والسيد مور يواجههم بقساوة لا ترحم، لأنه قد وضع نصب عينيه ازدهار مضيعه ليس إلا. أما السيد بورك فبهتم حقاً بتصير العمال وبيعاليهم الذين يهددهم الجوع، مع أنه يميل بطبيعته إلى الاشتداد. إلا أنه في ما يتعلق بقضية مضجع السيد مور بالذات، كان يأمل أن يهزم العمال المغترضون.

وعاد مور وسكوت إلى المضجع حيث قضا ليلتهما، مستعدين للتصدي لأي هجوم مفاجئ. وبعد ليل هادئ، استيقظا باكراً قبل وصول أي من العمال الأوفياء. ولم يتمالك جو من أن يعجب لحماس رب عمله ولروح المبادرة التي يندبها في الحالات الطارئة. فسأله: «هل أمثالك كثيرون في بلادك؟»

أجاب روبرت: «بلادي!». ولكن هذه هي بلادي. فوالدي ابن منطقة بوركشر وإن كان مركز عمل العائلة في بلجيكا.

فقال جو وقد ارتست على شفته ايسامة ماكبرة: «هذا صحيح. فأنت مثلي مندفع بضراوة إلى جمع المال... أنا لم أقصد الإهانة، فأنت تعرف أننا في الشمال نوح

أنت كارولين قتل مؤبد لنُدس بِصَفِ ساعة قتل أن يَتَّهِي روبرت وأورثانس مِنْ
تأويل المصور

سألتها أورثانس. «ما كنتُ فحيثُ بكرا يا كارولين؟»

فأجبت: «جئتُ لأرى إن كنتُما في حانةٍ حَيَّةٍ بَعْدَ أَلَدِي جَرَى البَارِحَةَ. فَقَدْ أَثَارَتْ
هَذِهِ الْأَحْدَاثُ غَيْصَ عَمِّي وَأَحْزَنِي أَنَّ السَّيِّدَ يورث كانَ مُوَحِّدًا أَيْضًا.»

قَالَ روبرت: «أجل. وَلَكِنْ غَيٌّ أَنْ أَرْحَلَ الْآنَ إِلَى وَتْزِي، فَالْيَوْمَ نَقْدُمُ السُّوقَ.»
وَرَدَّتْ كارولين قَائِلَةً: «لَقَدْ سَمِعْتُ عَرَبَةَ السَّيِّدِ يورث وَأَنَا فِي طَرِيقِي إِلَى هُنَا. لِمَ لَا
تَعُودُ بَعْدَ هَذَا آمِنْ كَمَا

قَالَ روبرت مُتَسِمِّيًا: «أنتِ تَقْصِدِينَ يا كارولين أَنَّ جَمِيعَ الْعُمَّالِ يَكْرَهُونَنِي وَيُحِبُّونَ
السَّيِّدَ يورث!»

وَرَدَّتْ كارولين: «لَهُمْ لَا يَكْرَهُونَ. يا روبرت. بَلَدٌ يَسِيئُونَ فِهْمَتُ. عَلَى كُلِّ
حَالٍ غَيْبُكَ أَنْ تَعُودَ قَتْلَ السَّادِسَةِ أَيُّ قَبْلَ خُيُوبَةِ الْمَلَامِ.»

وَذَهَبَتْ أَوْثَانَسُ إِلَى الْمَطْبَخِ، فَدَوَّرَ روبرت دَفْترَ كارولين وَقَالَ: «إِنَّكَ تَتَقَدَّمِينَ فِي
دِرْسَةِ السُّعَةِ الْخَرُوسِيَّةِ يَا كَارُولِين. مَاذَا تَتَّقَلِّينَ بَعْدَ هَذَا التَّحْصِيلِ؟»

وَأَجَبَتْ: «رُبَّمَا سَأَمُضِي أَيَّامِي فِي إِدَارَةِ مَرْبَرِ عَمِّي تَقْسِيمِي.

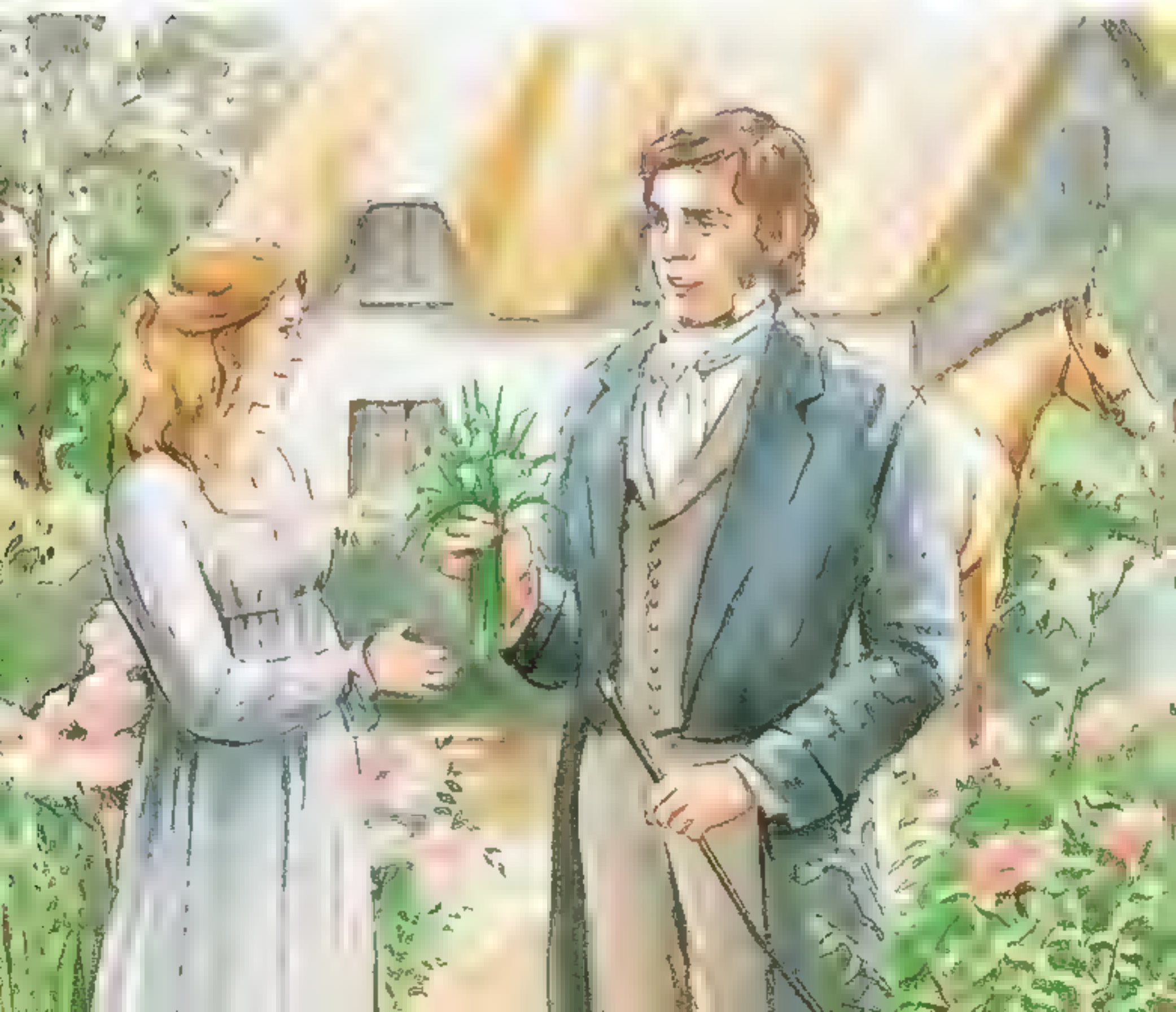
وَعَنَى روبرت: «إِنِّي لِأَسْأَلَ إِذَا كَانَ هَذَا نَتِجًا مِنْ الْعَيْشِ بِرُضِيَّتٍ!

فَقَالَتْ: «نَيْسَ تَمَامًا. قَوِيٌّ قَوْدٌ أَنْ تُخَيِّي نَقْصَ الْمَالِ أَيْضًا وَأَنْ تُرْعَى فِي دَاءِ
عَمَلٍ حَقِيقِيٍّ مِمَّا يُغْصِي سِتْقَالًا دِيًّا. وَلَوْ كُنْتُ ذَكَرْتُ لَكَ هَذَا سَهْلًا مَعَ دِيكَ أَطْلُ
نَيِّ تَسْتَعِ بِالْخَدَرَةِ كَكَبِيَّةٍ بِمُسَاعَدَتِكَ فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ الْخَضَعِ. يُمَكِّنِي مَثَلًا أَنْ
تُفَسِّحَ الْحِسَابَاتِ وَتَهْتَمَّ بِالْمُرْسَلَاتِ وَتَصْدَقَ. إِنِّي أَعْلَمُ كَمَا تَتَقَي بِشَحَاحٍ فِي عَمَلِكَ
وَتَعْتَقِدُ أَنَّي قَادِرَةٌ عَلَى مُسَاعَدَتِكَ

فَقَالَ روبرت بِعَجَابٍ وَاصِحٍ: صَوِّحْتُ كَثِيرًا يَا كَارُولِين!

وَدَبَعْتُ كَدُولِينَ قَدِيمَةً بِمَكَاسِي أَبْصَا أَنَّ أَفْعَالَ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. فَأَنَا أَسْتَطِيعُ
الْمُسَاهَمَةَ فِي تَحْسِينِ عِلَاقَتِكَ بِعَقْدِكَ. بِهِمْ يَنْظُرُكَ مُجَرَّدُ آلَاتٍ. بَيْنَمَا هُمْ فِي الْوَاقِعِ
يُحَادِثُونَ إِلَى أَنَّ تُعْمِلُهُمْ كَثِيرًا.

فَتَسَمَّ روبرت مُتَسَهِّلًا جِيَانَ آراءِ كَدُولِينَ الْمُصْرِيخَةِ وَابْتَدَعَ السَّادِحَ. وَاعْتَرَفَ
قَدِيمًا: «أَطْلُ أَتِي رَحُلُ قَدِيمٍ - لِكُنِّي قَدِيرُ عَمَى تَدِيرُ لَأُمُورٍ بِمَعُونَةِ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ
الْمُخْصِيصِينَ. وَالآنَ يَجِبُ أَنْ أَرْحُلَ». وَثَحَّةَ إِلَى الْخَارِجِ حَيْثُ كَانَ يَقِفُ جَوَادَّةً. وَكُنْ
قَدِيمًا أَنْ يُعَادِرَ. قَصْدَ الْحَدِيقَةِ وَقَصَبَ بَقَّةً صَغِيرَةً مِنَ الْأَزْهَرِ لِيَبْقَى وَقَدَّمَ بِكَرْوِينَ
قَدِيمًا: «إِنِّي لِنَعِشَاءِ سَأُرَاكَ عِنْدَمَا أَعُودُ. سَأُرَافِقُكَ إِلَى مَزِيرٍ عَمَقَتْ حَوَالِي السَّاعَةِ
لِلتَّيْبَةِ. هِيَ السَّاعَةُ».





وكاروليس هديه فتاة حذابة جدا. وديعة. هيماء المقد. ررقاء العيش. بيضاء بشرة.
تكلل رأسها خلائات شعرها الكستاني المنيح.

أما والدتها حيمس هستون فكانت كبيرة فاسدة الأخلاق. وقد عمت روحها بوخشيّة
خمتها على الرحيل ونشئ القسيس ابنة أحيه بعد وفاة شقيقه. رأت كاروليس ثقافة
محدودة. لكن عند اقترحت قريشها أورتانس أن تعلمها الفرنسية قبلت لغرض بشور.

وهكذا ردت تقرب كاروليس من أورتانس وروبرت. وما كان من شيء يسعد كاروليس
أكثر من تلبية دعوة قريشها لها. وأورتانس نفسها كانت تشعر بالسعادة في هديه

المناسبات فتعزفت على اقشادة وتغني أغنيات فلمنيكة شعبيّة رائجة.

حي روبرت كارولين. عند عودته في المساء. تحية حارة. وقتلها على حبيبها.

صرخت كارولين قائلة: «كنت حزينة لشجود التفكير باحتمال عدم محيثك هل أنت قاتل بشان أوضاع البلاد» فاجاب روبرت. «كلا. وإذا لاحظت. أخيراً. انشعابي فمرّد ذلك تفكيري بنجح المصنع. فأنا أريد الحصول على مركز مرموق». وهتفت كارولين. «ستحقق مرادك بالتأكيد. فأنت مؤهل لكي تصبح رائدا في الصناعة!»

فقال روبرت مداعباً: «ولكني سافشل. من دون شك إذا عملت بصايرج. فليست الحياة يا كاري كما تتصورينها. لأنك تحكمين بنفسك لا بعقيدتي». ردّت كارولين قائلة: «أني على يقين أن حصولك على مودة عمالك من شأنه أن يخلد مصلحة الطرفين». ففتق روبرت: «إذا، علينا أن نقر بالاختلاف. بيني وبينك. حول هذا الموضوع!»

في الساعة التاسعة وفي روبرت بوغده ورافق كارولين إلى منزلها. وعند وصولهما إلى منزل القسيس بدا روبرت صامتا مطرقا. فتوقفت وألقى على كارولين نظرة ملؤها الحزن وتمتم بشيء من الغموض: «هذا لن يخلدني نفعاً، لا بل يسبب الضرر. لقد سبق والتأبني لشعور نفسي. ولكنه سيروك عدا». ثم قبل كارولين على حينها وقفل عتد.

وخلعت كارولين بروبرت تلك اللبنة. فستبقض وقتها منعة بإفراج. لأنّها باتت متأكدة من حبه لها. ولم تتمالك عن التفكير في الزواج. وكان موضوع الزواج يأتي دائما على لسان عمها شيء من الأزدراء والتهرؤ. كانت كارولين تعلم مدى فشل رواج والديها، ولم يمش أيضا فشل رواج عمها. إلا أنّها لم تنفذ أملها في الزواج.

عندما ذهبت في موعد درس اللغة الفرنسيّة على يد أورتانس. صادفت روبرت واقفا عند مدخل الحديقة بقامته الضويّة وصنعيته البهية. غير أنّ تحيته كانت باردة. غير ودئية. فسعرت بالحزب والخيبة وتذكرت كيف وضع حدا لإملها في اللبنة السابقة عندما قال كيماته الغمصة: «هذا لن يخلدني نفعاً...».



وانتج رحالت عملاً. فهم يصوّرون خوي »

فصاح مور : «أخبرني. كلُّنا يَعْرِفُ أَنَّكَ بِسَكِيرٍ خَفِيرٍ وَمُخْتَالٍ، وَمُثِيرٍ لِبَغْيَيْنِ. وَلَا أَحَدٌ يَخْرَمُكَ أَمَّا بَاقِي هُنَا. وَمَسَاحَةُ مُضْغِي بِأَحَدِثِ الْأَلَاتِ الَّتِي يُمَكِّنِي شِرَاؤَهُ. وَبِذَا أَخَرَفْتُ الْمَضْغَ سِتُّ وَاحِدٍ آخَرٍ أَفْضَلَ مِنْهُ لَقَدْ نَعَّدْتِ حَدُوثَ مَا فِيهِ الْكِبَرَةُ، وَسَنَحْتَلُ لِعَوَاقِبِ! »

لَمْ طَلَبَ مَوْرٌ مِنْ سَعْدِ أَنْ يُثَرِّرَ مَذْكِرَهُ التَّوْقِيفَ قَلِيلًا «لَقَدْ هَدَمَ هَذَا الشَّخْصُ رِحَالِي وَحَقَمَ آلَاتِي فِي مَنَاطِقَةِ سِتْلِ بَوْرُو. وَلَدَيْ الشُّرْهَدِ الْأَكْبَدِ عَنِّي دَمٌ وَقُضِيَ عَنْهُ مِنْ فَضْلِكَ! »



فِي صَبَاحِ أَيُّومِ الثَّانِي انْصَمَّ الشَّيْخُ هَسْمَتُونُ وَالشَّيْخُ سَابِكْسُ وَهُوَ أَيْضًا صَاحِبُ مَضْغٍ - إِلَى رَوْبِرْتِ مَوْرٍ وَجُو سَكُوتٍ فِي مَضْغٍ هَوَلُو. وَكَانَ قَدْ نَعِمَ أَنَّ أَحَدَ الْمُتَمَرِّدِينَ تَكَلَّمَ عَنْ بَيْتَةِ تَقْضِ الْعَمَالِ الدَّائِرِينَ تَدْمِيرِ مَضْغٍ مَوْرٍ فِي ذَلِكَ الْفَصَاحِ سَادَاتٍ وَكَانَ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْعَمَالُ مُوسَى بَارَاكُوبُو وَهُوَ أَحَدُ سَمَشْرَسَ، مِنْ أَهْلِ الْمَنَاطِقَةِ. مَعْرُوفٌ بِإِثْرَةِ الْفَتَنِ وَالشَّخْرِيسِ عَلَى الْعُضَيَانِ.

وَحَمَلُ رَوْبِرْتِ مَوْرٍ مَمْنُوسٍ شَرْعِيَّةً فِي الْمَنَاطِقَةِ حَوْلَ سَعْدِ عَنِ الْأَنْصِمَامِ إِلَيْهِمْ حَامِلًا مَذْكِرَهُ تَوْقِيفٍ بِحَقِّ بَارَاكُوبُو وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْعَمَالُ إِلَى الْمَتَاحَةِ، حَرَّجَ مَوْرٌ بَخْرَافَةَ لِمَوَاحِيثِهِمْ. وَنَهَمَ بَارَاكُوبُو بِالْإِخْتِيَالِ وَلَحْنِ فَتَرْتِ نَائِرَةِ بَارَاكُوبُو وَحَاطَبَ مَوْرٌ قَائِلًا «أَنْتَ عَرِيبٌ هُنَا. يَا مَوْرُ، وَلَا تَقْهَمُ شَخْرَ الْعَمَالِ فَاقْتَرِحْ أَنْ تَعُودَ إِلَى بَلْجِيكَا. وَإِلَّا فَارْزِمِ آلَاتِكَ جَائِيًا



أَتَيْتِ الْقَبْضُ عَلَى بَارَاكَلُو فِي الْحَالِ، فَأَخَذَ رِدْقَهُ يَخْتَحُونَ مُحَدِّثِينَ الْأَقْبَرَاتِ
يَتَخَرَّبِرُهُ، فَصَرَخَ مُورٌ وَقَدْ أَخْرَجَ مُسَدَّسًا مِنْ جَيْبِهِ: مَكَانُكُمْ هَذَا الْمُسَدَّسُ مُنْقَطِعٌ
بِإِصْرٍ. وَنَاصِبٌ نَارٌ عَلَى كُلِّ مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِ الْقَانُونِ!

لَمْ تَقْدَرِ عَلَيْهِ فَرِين. أَخَذَ الْمُتَمَرِّدِينَ وَطَلَبَ أَنْ يُفَسَّخَ تِلْكَ الْمَحَدُّ فِي الْكَلَامِ. وَكَانَ
الْجَمِيعُ يَخْتَرِمُونَ لِاسْتِقْدَامَتِهِ، فَضَغَى مُورُ بِإِي كَلَامِهِ

قَالَ فَرِين: «عَفْوٌ سَيِّدِي!! أَنْ لَا أُؤَافِقُ بَارَاكَلُو عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمَ أَوْ قَعَنَهُ لِكَيْتِي قَبْلُ
عَلَى عَدَائِلَاتِ الْعُسْرِ. أَعْرِفُ أَنَّ لَا نَسْتَضِيعُ أَنْ نَحْوَنَ دُونَ اسْتِغْفَابِ الْآلَاتِ الْخَدِيثَةِ
وَكَيْنَ. أَلَا يُمَكِّنُكَ اعْتِمَادُهُ بِالشَّدْرِيجِ؟ إِنَّ تَحُولًا بِهَذَا الْحَجَرِ يَخْتَلِجُ بِي الْوَقْتُ. هَلْ
تَقْهَمُنِي يَا سَيِّدِي؟»

فأحابه مور: «اسمع يا فارن، لا تفرّ من تجهيز مَضْعِي الآلات الحديثة. ولا تفرّق
على المنافسون واضطربت إلى الانسحاب من ساحة العمل. وهذا لن يُصعّب المعادلات
تي تتوق عليها... ستحصل الأجهرة الحديثة عدا. ولا رجوع عن ذلك!»

نقص الذين أضغوا إلى كلام فارن تعاطفوا معه، لأن ما قاله له بخل من الإيحاءية. ولكن
مور لم يُعَيِّر موقفه إقْدَاد الشَّرِصِي دراكو. يتم تفرّق الآخرون مُتَّحِينَ نحو مارييه
شكر روبرت مور رفاقه لمساعدتهم إلا أنه لم يشعُر بالارتياح. وضلّ يفكر يوليم
ورن. رُبَّما لأنه كان متأثراً بأقواله كارولين. وفي مساء ذلك اليوم قصّد مور صديقه حيرام
يورك في برايمير فَوَحَد السيد يورك وزوجته في عُرْفَةٍ لِحُلُوس قُرْب الموقد. أمم بر
متأخّجة. وكان أولادهم الأربعة وابنتهم يتغصون. كان الأصغر بينهم ضالاً. أمم ليكر فقد
بلغ السادسة عشرة.

والسيدة يورك امرأة بديّة. تظهر الرزاة على ملامحها. وتخيّل على ما تبدو عبء
هموم كثيرة. ونادراً ما تبدو مريحة. غير أنها أم صالحة. وهي ترى دائماً في الناس
مخزّذ أعداء وبخسة الرجال.

استقبلت السيدة روبرت بطريقة تُفصح عن ضيقها هذا قائلة: «لماذا أنت خارج منزلك
في هذه الساعة المتأخّرة من الليل يا سيّد مور؟»

وأجابها مور بتسامية مريّة. «هذا لا ينطبق على الرجل العزب، يا سيدي. لقد جئت
في الحقيقة للتحدّث إلى زوجك بشأن مشاكل المصنع.»

ثم أخذ روبرت مور السيد يورك حاتياً. وسأله بصوت خافت: «هل أنت بحاجة إلى
استخدام عميل كفاء؟ عني أن أجد عملاً يوليم ورن! لقد تكلمتَ خيراً هذا الصباح
وأعجبتُ بأقواله فهو على الأقل صريح وصادق.. أنت تملك حديقة واسعة. أيمكنك
توكيله بعمل ما؟ أتصوّر أنه يُستأجر بارع!»

وفكر السيد يورك مبهتاً ثم قال مُضْمِئاً السيد مور: «حسنًا. سأستدعيه في الصباح.
ولكن ما حدث لماراكو؟» فأجاب مور: «لقد قُصّ عنه!»

وَعَلَّقَ الشَّيْخُ يُوْرَاكُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلًا: هَذَا يُبَيِّنُ تَصَرُّفَ حَكِيمٍ بِ رُورْتِ وَسَيُحَقِّقُ
بِرَكَو نَصْلًا يَنْظُرُ السَّيْسَ!

هَذَا قَوْلُ مَوْرِ بِخَرْمَ لَا لَا مَقَرَّ مِنْ الْقَتْلِ عَلَيْهِ. قَدْ تَرَكَ طَبِيقًا خَصَّةً لَاتِي وَقَدْ نَبِي
حَتَّى إِي الْإِفْلَاسِ لَقَدْ تَقَرَّرَتْ كُلُّ مَا لَاتِي مِنْ مَالٍ وَلَا اسْتَصْبَحَ يَبِيعُ شَيْعٍ وَمَكُنْ
بِقُصْرِ الْآلَاتِ الْحَدِيثَةِ سَأَلْتُكَ مِنْ إِعْدَةِ بَدءِ تَرْوُتِي فِي حَقِّكَ لِمَسَبِّ.

قَالَ يُوْرَاكُ: «مَا نَحْتَاجُهُ يَا صَدِيقِي هُوَ زَوْجَةٌ ثَرِيَّةٌ! فَحَبَّ رُورْتِ نَعْدَ خَصَّةٍ تَقْضِي:
«لَا. لَا يُمَكِّي الْآنَ التَّفَكُّيرُ بِالْحُبِّ! وَأَزْدَدْتُ يُوْرَاكُ. قَوْلًا: «إِحْزَمُ قُرْمُكُ يُهَيِّئُ لَكَ
فَلَا تَرُكْ أَمَامَكَ فُرْصَةً لِاسْتِعْدَادِ تَرْوُتِكَ!

بِقُدُومِ قُصْرِ تَرْبِيعٍ. بَدَأَ الْجَوُّ مُنْعَدًا بِالْأَمَلِ وَكُنْمَ مَرَّتِ لَعِبُومُ أَمَامَ الشَّمْسِ
الرَّاسِمَتِ، عَلَى امْتِدَادِ الْأَرْضِ الْخَضِرَاءِ. رُسُومٌ مِنَ الْمَلِكِ وَتُور. وَعَدَ كَوْنُ لَعَدَاتِ
وَيُؤَدِّبُ الْخَضِرَ مُرِيحًا يَنْظُرُ فِيهِ شَرَعَتْ التَّرَاعِي تَنْتَشِجُ أَمَّا بِاسْتِثْنَاءِ بَنَاتٍ فَقَدْ كَانَ الْأَمَلُ
مُسْتَعْدًّا. فَتَدَعَتْ ابْتِصَارَاتُ بَهَوِيُونَ وَتَوَقَّفَتْ الشَّدَائِدُ الشَّحَارِي وَبَتِ آفَ الْعَمَلِ

لِمَسَاكِينِ عَاضِينَ عَنِ الْغَضَبِ وَالْكَثِيرِ مِنَ أَرْبَابِ الْعَمَلِ عَلَى قَبْرِ قَوْسِيٍّ مِنَ الْإِفْلَاسِ.
وَرَاءَ نَيْشَرِ بَلُوسِ وَالشَّقَاءِ نُصَبَحَ السَّيْسَ - وَمِنْ بَيْنِهِمَا يُوْرَاكُ وَمَوْر - يَسْعَوْنَ وَرَاءَ الشَّمْسِ
وَصُطَائِبَةِ بَائِيٍّ تَمُرُّ وَأَخَذَ رُورْتِ يُخَرِّصُ السَّيْسَ عَلَى حَقْلِ الْحُكُومَةِ ثَدًا بِسَبَابَتِهَا -
فَاخْتَلَفَ وَحَدَرَهُ شَيْئًا هَسْتُونَ لِأَنَّ هَذَا الْأَحِيرَ وَصِيٌّ مُتَرَمِّقٌ وَمُنْتَشِثٌ بِأَرِيهِ وَهُوَ عَلَى
شَيْعَةٍ دَائِمَةٍ يَدْعُو الْمُسْتَمِيتَ عَنْ وَجْهِهِ نَظْرَ الْحُكُومَةِ وَهَذَا شَيْبٌ كَفَّ الشَّيْخُ

هَسْتُونَ عَنِ تَعَصِي مَعَ حَدَرِهِ الشَّيْخِ مَوْرٍ وَخَطَرِ عَلَى كَارُولِينَ مُتَاعَةً ذُرُوبِيٍّ مَعَ تَرْوُتِ
كَانَ دَيْتٌ كَارِثَةٌ بِاسْتِثْنَاءِ إِيكَارُولِينَ. إِذَا قُصِدَ عَنْ أَعْرَ صَدِيقَةٍ. وَحَرَمَهَا بِحَدِي
فُرْصَةٍ لَدَرَةٍ الَّتِي تَحْتَهَا تَنْقُبُ. وَأَبْقَاهُ عَنْ رُورْتِ فَسَبَّحَتْ عَيْنُهَا لَكَثَّةً
وَشَعَرَتْ بِشَقْمٍ وَأَوْهَرِ. وَرَأَتْ أَنَّ الْحَالَّ قَدْ يَكُونُ فِي تَرْحِيلِ عَنِ الْمُنْطَقَةِ وَالْقَصْرِ
كَثَرِيَّةً فِي مِثْقَلَةٍ أُخْرَى.

وَرَدَتْ كَارُولِينَ خَرِيَّةً وَمُتَصَوِّبَةً عَلَى نَفْسِهَا بِشَكْلِ وَاصِحٍ. مَا بَيَّتَ عَيْنُهَا أَنَّ لَهَا
دَيْتٌ وَدَاتُ يَوْمٍ وَحَدَرَهُ شَيْخٌ هَسْتُونَ فِي عُرْفَةٍ لَحُوسٍ مُتَهَمِكَةٍ فِي رِشْمِ لَوْحَةٍ.

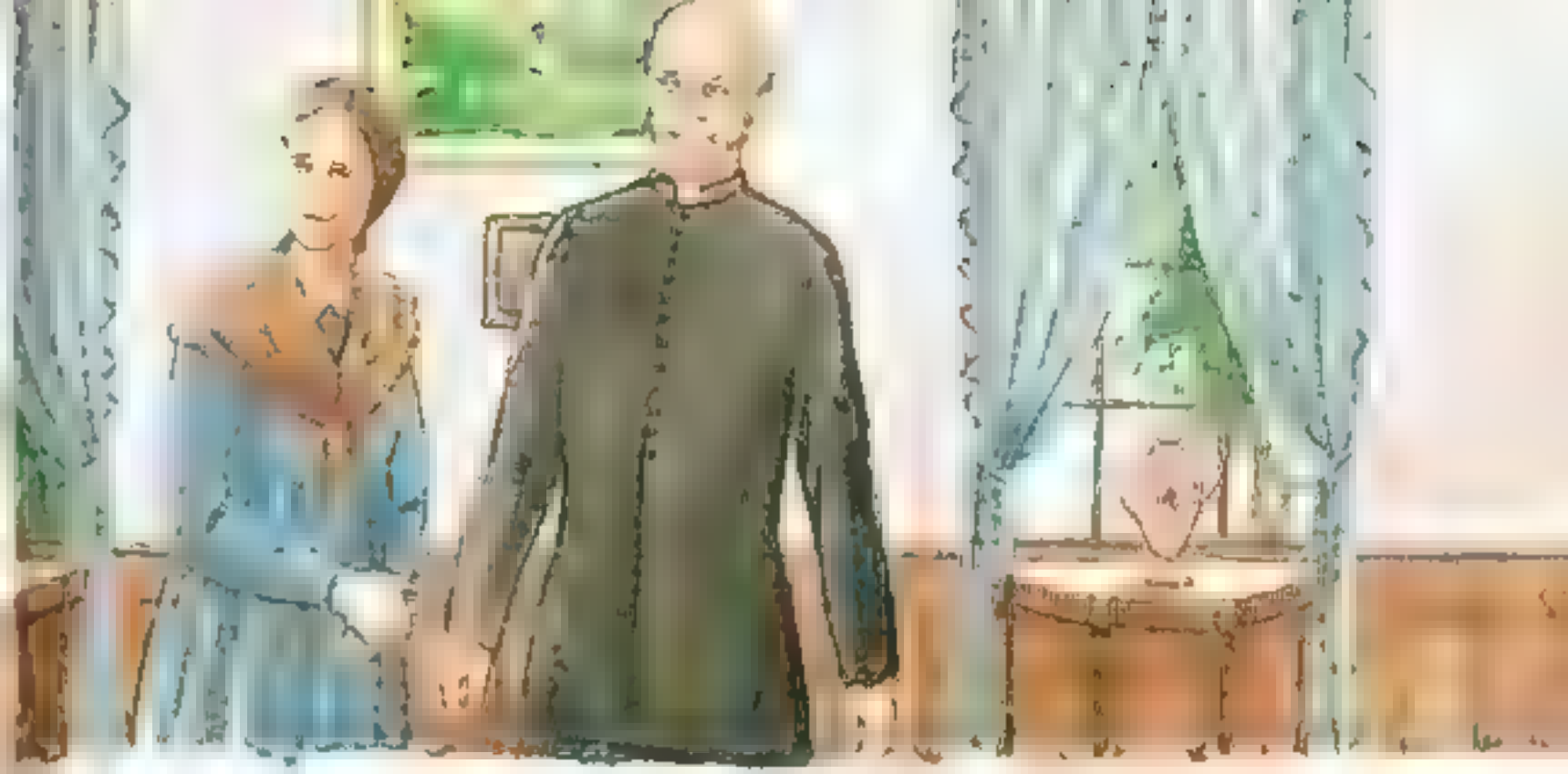
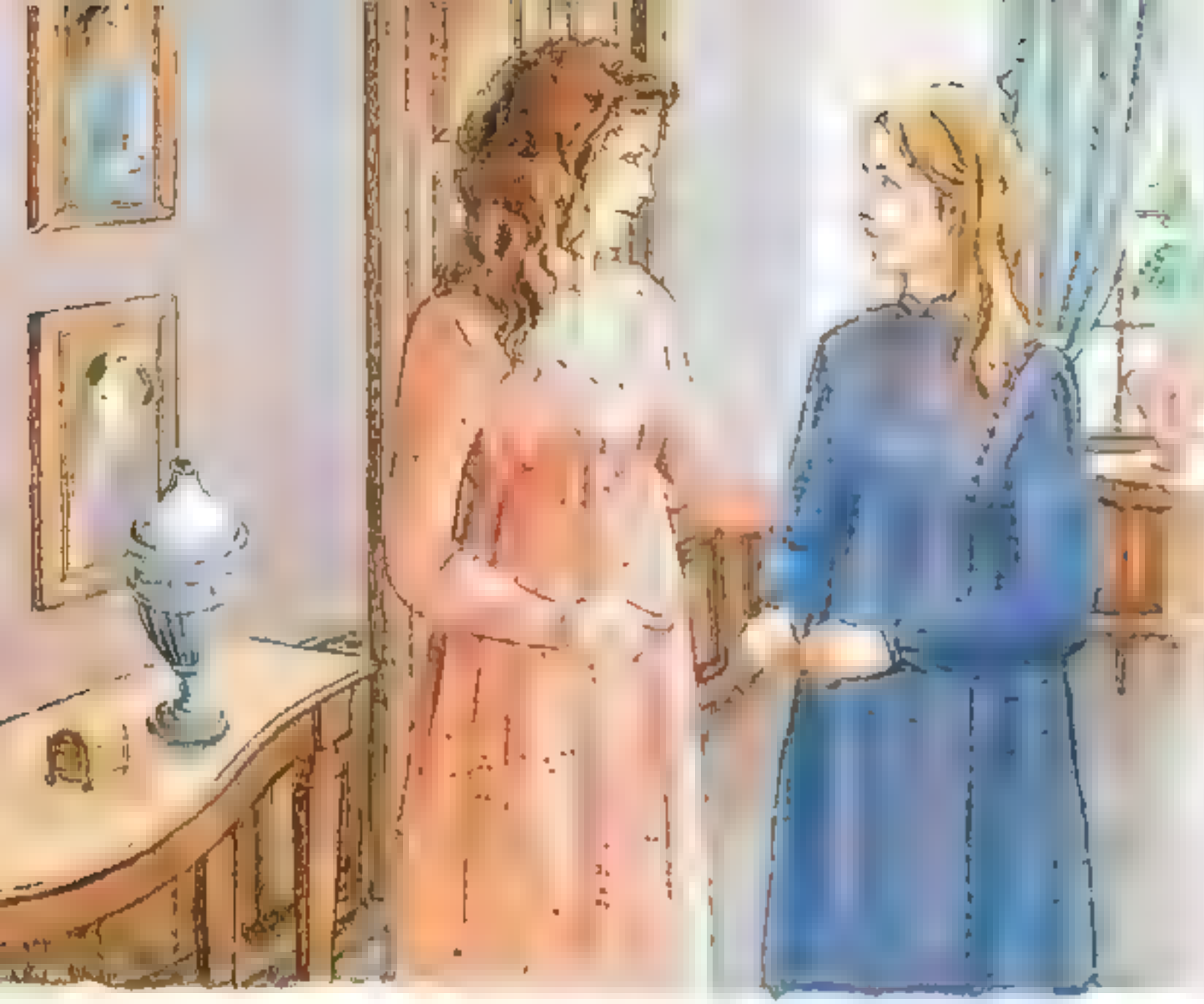
فَقَالَ: «يَا بَنِيَّ، أَنْتَ لَا تُحْرَجِينَ أَبَدًا، فَأَعْتَجِرِي قُبْعَكَ وَتَعَالِي مَعِي فِي نَزْهَةٍ».

سَأَلَتْهُ كَارُولِينُ بِقُتُورٍ: «إِلَى أَيْنَ؟»

فَأَحْبَبَتْ «إِلَى مِيدِيد». لَقَدْ عَدَّتِ الْآيِسَةُ شِرَاطِي بِالْإِقْدَمَةِ هُكَ. نَعْدُ أَنْ يَنْعَثَ بِسَرِّ
رُشْدٍ. أُرِيدُكَ أَنْ تَنْتَقِي بِهِ. فَهِيَ فَتَاةٌ رَائِعَةٌ وَسَرَفَةٌ مِنْ مَعْبُورَاتِث.

وميديد مَرَّتْ كَتِيبٌ فِيهِ قَاعَةٌ امْتِثَالِ مُسْتَصِيَّةٍ مُضَيَّعَةٍ. فِي نَفْسِي طَرَفٌ مَخْمُوعَةٌ مِنْ
رُؤُوسِ الْأَيَّامِ تَنْحَنِي نَحْوَ الرَّائِرِينَ. كَانَ هَذَا الْمَسْرُوكُ الْقَدِيمُ الْوَاسِعُ مِنْكَ أَسْرَةً كَيْدَرٍ
عَلَى مَدَى عِدَّةِ الْخِيَالِ وَكَانَ أَشْيَاءُ لِقَضَرٍ بِالنَّظَرِ مِنَ الْمَلَائِكِينَ الْكِبَرِ فِي الْمِنْطَقَةِ





اشتغلت كارولين وعملها سيّدة متوسطة العمر تزني توتا من الطّراز القديم
فأدخلتهما فعه خذراؤها مكشوفة بالروح من حب الشّديد. كانت تلك المرأة السيّدة
بريور مربية الآيسة كيلدر في السابق وما لست أن أوصفت إليهم السيّدة الشابة نفسها.
وهذه الأخيرة فاة خذابة تفوق كارولين طولا ولكن بقدر صلب. وهي حبة منسوقة
القد. شعرها نبيّ قاتم وعيناها رماديتان وملامحها دقيقة كأنها قد نحتت من
رخت شيري برازنها حرارة فاة «كنت أتوقع ريدتك يا سيّد هنسون. أضأ أن
الآيسة هي «بشك؟» فأجاب موضحا: «إنها ابنة أخي، كارولين».

نظرت شيري إلى كارولين نظرات فاحصة ثم سألتها: «كم عمرك يا كارولين؟»
فأجبتها كارولين: «بني في الثامنة عشرة».

وقالت شيري: «أما أنا ففي الحادية والعشرين. لككك تدين شاجة وتعة يا
كارولين. هل أنت دائما بهذا السّحوب؟»

تدخل لسيّد هنسون فبلا «كلا، بل هي - عادة - متوردة الوحش، وهذا الشّباك
في صحنها حديث بها يحاة إلى فسطر من لراحة أو إلى تعبير النّاح إني أفكر
بالانفصال بها إلى شاطئ النّحر قريبا».

وقالت شيري: «بما أنني باقية هنا فأتسنى أن أراها مرارا. لقد بدأت بالشّوق إلى
جبراني وبصورة خاصة إلى السيّد مور الذي قابلته مرّات عديدة في لقاءات عتلي. إني
أمنن الأرض التي يقوم عليها مضعة، السيّد مور مستأجر عندي «وأردت صراحة.
«وبما أنني حنت الآن لأتولى أمر ممتلكاتي، يُمكنني أن أعبر نفسي رجُل أعمال،
وأعرف أنني مُفحة بجاركما السيّد مور ويتصميم على تحاج المصنع».

قال السيّد هلستون بجفا: «لقد وصفت خذا لعلاقي مع السيّد مور، فسياسة هي
مجرد سياسة تاجر أناني وغير وفي ليّله».

علقت كارولين على هذا الكلام قائلة: «إنه على الأقل رجُل شهيم».
فألت شيري، وقد ألقت على كارولين نظرة فاحصة: «وهو كذّاب! أرى يا
كارولين أنك صديقتة!»

كانت شيرلي كيندار، وريثة فيلدهد، مريخة المزاج وتشتغ بشخصية لامعة قد
بشتت تعرفت إلى معظم سيدات وفيات المنطقة، إلا أنها خصت كارولين بصداقة
مميزة. فكانت تقومان بزيارات في المنطقة برفقة كلب شيرلي الأمين «تارنر». وسرعان ما
كتشفت حثهما المشترك والعميق لمنطقة يوركشير وفي يوم من شهر أيار (مايو)، قامت
نزهة صوبية إلى لثال والتوديان حاملتين وحبّة العداء ليتسولا طعمهما في لهواء الصق.

توقفت على قمة تلة عالية، ونظرتا إلى الوادي العميق في الأسفل. حيث ترعمت
زهار الربيع وأزهرت الأشجار. وأنت نظرتما حقل واسع مرقع بأزهار اللؤلؤية
الصغرى ستواصعة ومرحرف بأزهار الحودان الذهبية. وقد أحاطت حقت من زهرة
لربيع وخرق الماء بالأمواج وكأنها إطار لتلك اللوحة الطبيعية. وبعيداً ست لثال
مزر كشة بأشوب الأرق الهادي وباللون الأزخوي الراهي. وحت هواء عليل ومعشّ حصل
الشحب البيضاء تغدو في السماء. فحسرت الغائبي غطة لا توصف

ثم ترتط شيرلي وأحدها بصداقة حميمة مع كارولين. فليسيده برايور لمرية
الصقة لشيرلي هي أيضا اهتمت بكارولين اهتماماً كبيراً. وهذا تصرف نادر بالنسبة
لسييده برايور لسفوفة بتحفظها في اختيار علاقاتها الاجتماعية وهكذا كانت صديقت
كرويس لحديثان ثريان برياراتها المتكررة إلى فيلدهد. وقد زهت السيده برايور
بصفتها مريية سابقة على أنها قادرة أن تكون صديقة كارولين من مرشدها

وصت كرويس بزياراتها المسائية باتجاه هولوا ناحتة عن الأنوار في دودة السرير
لصغير أو مترقة عودة روبرت من نزهة ما. ودات مساء. في طمة العسق، شاهدت
كارولين وجة شيرلي بوضوح وهي تتره برفقة شخص طويل القامة هو روبرت مور
بالذات. فغادرت كارولين المكان صامتة. وانحبت نحو منزلها. حريية وهي تحسن
دموعها. وما لة تعرفه كارولين هو أن شيرلي وروبرت كان يتشاوران بشأن الترتيبات
الشعقة سدفع عن المضجع في حال حدوث اعتداء من قبل العمال لمشاعين



في مساء اليوم التالي قامت كاروليس بزيارة شيرلي في فيلدهد. وعند دخولها قاعة
المجلس سألتها السيدة برايور عن سبب شحوب وجهها
فقالت كاروليس. «لَمْ أَمْ نَوْمًا مريحًا، وأشعرُ بالكآبة»
أحبت السيدة برايور قائلة. «أنت بحاجة إلى المزيد من الحركة والهواء الطلق.»
- إنني أتره وأمشي كثيرًا في هذه الأيام!



- إذا. قد تكونين بحاجة إلى الشغل لبعض الوقت.

- أنت مُصيبة. هذا ما أنا بحاجة إليه بالضبط! أودُّ أن أصبح مثلك مُريئة. ولكن بعيداً عن المصيبة.

- لا أظن قوتك البنية بما فيه الكفاية كي تتحملي مشقات هذه الوظيفة. يا عزيزتي. فعمل المُرِيَّة شاق ومُضني.

- وهذا بالضبط ما أحتاجه فحالي هذه لا تُعالج إلا بالانشغال المتواصل.

وقاطعتها شيرلي قذبة. «الكسي لم أر في حياتي شخصاً مُجدداً مثلك. فأنت دائماً بحركة! ولا أظن أنك ستشعرين بالراحة وسط الغُرباء. إن الحياة التي تُفكرين بها لا تأسبب أبداً. فكلمي عن ذكرها أمامي. ولكن لدي فكرة: لم لا تقومين معي برحلة إلى منطقة الشحيرات الإنكليزية أو إلى إسكتلندا؟ وتبعث مازحة: ستُضطجعين الكيش كيندار. ستزورن المرتفعات السحابية وجُزر هيردير وتُشاهدن معالم إسكتلندا. أذ مُتأكدة من موافقة الشئدة برايور على هذه الفكرة.»

فارتفعت مغويات كارولين على الفور. وقصت الصديقين نصف ساعة من المرح تخطصن الزهد وتُخمدن بالبحر والبحيرات والجبال والحرر الحلات.

وصن روبرت من دور سابق إنذار. وتدا مئناً بالشاطر والحويّة كأنه قد خدّد أمنه في الحياة.. وبعد تبادُل الشجيات. تحدثت عما جرى في المصنع مؤخها كلامه إلى شيرلي بصورة خاصة. قال: «إني آتٍ ليتو من سنبل بورو. لقد اجتمعت بقائير الشكّة وهو يوافق على الترتيبات التي تُحدنها للدفع عن المصنع. ويُشرع تزويدنا بعدد من الجنود، يفوق حاجتنا في الواقع. فقلت له إني أكتفي بسنة خنود. لأن مُحَرَّد وحودهم كافٍ، بالإضافة إلى اعتمادي على مُؤيدي من المديين.. لقد شدّد وزير الداخلية على وجوب تحرك أصحاب المصانع لتجنب تكرار الاضطرابات التي جرت في بوتنهام ومانشستر وبرمنغهام.»

بعد تناول الشاي، راحع روبرت وشيرلي نغص المشتدات. ثم جاءت شيرلي
نغص أوراق الحشرات وناقشتها مع روبرت. بعد ذلك أخذ الجميع يتخذون برتياح،
وقد أوى روبرت كلا لفتاتين اهتمامه.

سأله كارولين: «كيف حال أورتانس؟»

فأجاب: «إنها بحالة جيدة، لكنها تقبلتك كثيرا!»

قلت: «أزحوك. أخرها أتى أيضا بعاية الشوق إليها!»

في التاسعة، رأت كارولين أن الوقت قد حان للعودة إلى منزلها. فقد روبرت
«سأرافقت بعد أن أضرفت الخادمة.»

في الحرح. أحد روبرت بيد كارولين كالمعتاد وقال لها «لست ليوم سعيد.
تدين شاحنة وتزددين نحولا! ما هي مشكلتك؟» فقالت كارولين: «لا شيء.»

وأزدهف روبرت قائلا «على كل حال، لن تبوح لي بشيء، يبدو أنني لم أعد
أخطى بثقتك. لقد مضى شهران على زيارتك الأخيرة!»

قلت كارولين: «أجل، ولكن كنت أشاهدك مرارا أثناء تزهني المسائية. لقد
سأحتك والسيد يوزك مرة.» ثم تانعت بلهجة حادة: «ورأيتك أيضا رفقة الأنسة
كيدار.»

وتوقفت كارولين على مقربة من منزل عمها الكاهن وقالت: «عينا أن يشرق الآن يا
روبرت! فعتي على وشك أن يعود من تزهة المساء.»

أخذ روبرت يد كارولين وطع عليها قبلة رقيقة قائلا: «إلى اللقاء يا كاري، ومن
غير أن ينظر إلى المراء تابع طريقة نحو بيته

عندما حلت كارولين بنفسها في غرفتها، أخذت أفكرها تدور حول روبرت وكيف
تساكت نفسها وفكرت. «علي أن أضع حدا لأحلام الحب، فإني أعلم، في صميم
قلبي، أنه سينزوج من شيرلي.»

استيقظت كارولين في صباح اليوم التالي كئيبه، حزينة. فقد أيقنت أن قدر روبرت



وشيرني أن يصبح روثين. وفكرت أن أفضل ما تفعله هو الرحيل

بعد الظهر رزتها شيرني. وسألتها عن سبب عدم مبيتها في الخساح كساعتها.
فقلت: رغبتني يا شيرني كنت متفكرة ليراج!

- أليس أن من رافقت الدارحة إلى بيتك هو مسؤول عن هذا الاكتئاب. فعلمنا ما
يتقوه بكلام نبيه وهو متسبط ومغرور. إلى أكرهه لأنه يعكس صفو صداقتنا

- لا يا شيرني. صدقت نيتك في حضر. إلى أزدد تعقلا بك كل يوم. فلا شيء
قدرة على إفساد هذه الصداقة!

قالت شيرني: أريدني أن أسمع هذا الكلام يا كارولين! إنشئ الموضوع وتحدث
عن شيء آخر. بما يثقي فقر العاضين عن العمل وبؤسهم وإلى أفكر بالقيام بعمل
يحبني لئلا عذبتهم لقد ضلت من الآسنة أسي أن تأتي يوم غد إلى بيديك وترؤدي
بغص الصريح فهي تعرف الأشخاص الذين يشكون من ضيق مادي. وبمكاتب أن
تساعدني وسأصت من كهنة المنطقة الثلاثة الحضور أيضا..

دَعَتْ شيرلي الدُّكْتُورَ بولتي كاهن وبيري، والشَّيْذَ هُنستون كاهن برايريلد، والشَّيْذَ
هُون كاهن بابي. وهذا الأخير هُوَ الْمُفْصَّلُ لَدَى كارولين لِأَنَّهَا تَعْرِفُهُ مُنْذُ طُفُولَتِهَا.

أَدَارَتْ شيرلي الْاِجْتِمَاعَ بِمَاعِلِيَّةٍ، وَقَدْ سَاهَمَ كُلُّ مِثْنَمٍ بِخَمْسِينَ حُيَّةً بَنَكْلِيَّةً فِي
صُنْدُوقِ شيرلي الْمُخَصَّصِ لِلْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ. أَمَّا شيرلي فَقَدَّمَتْ ثَلَاثِينَ حُيَّةً

بَعْدَ تَثْبِيَتِ دَعَائِمِ الْمَشْرُوعِ الْخَيْرِيِّ، دَعَتْ شيرلي صُيُوفَهَا إِلَى مَأْدُبَةٍ عَامِرَةٍ نَالَتْ
عَلَيْهَا شُكْرَ الْمَدْعُوعِينَ وَإِضْرَاءَهُمْ، وَعَلَّقُوا قَائِلِينَ إِنَّ هَذَا مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ قِيسِ
«قَدِيرِهِمْ» الْكَاطِنِ كِيلْدَار.

إِرْذَهَرَتْ مُؤَسَّسَةُ شيرلي الْخَيْرِيَّةِ وَعَمَلُ مُسَاعِدِهَا بِكَدٍّ لِإِعَادَةِ مَنْ هُمْ بِأَمْسٍ حَاجَةٌ إِلَى
الْمُسَاعَدَةِ. وَنَدَّتِ الْمُنَظَّمَةُ أَكْثَرَ هُدُوءًا إِنْزَارَ تَمْوِينِ أَفْقَرِ الْعَائِلَاتِ بِالتَّوَقُّودِ وَالطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ.
فَشَعَرَتْ شيرلي أَنَّ الشَّجَارَ بَيْنَ أَصْحَابِ الْمَصَاعِ وَالْعَمَالِ سَيَتَوَقَّفُ، عَلَى الْأَقْلَى بِصُورَةٍ
مُؤَقَّتَةٍ.



دات مساء دايفي وصاحب. بينما كانت كارولين وشيرلي تتجولان في الحقول ومعهما
تارتر. صادقاً وإليه دین يضطجبان ثلاثة من أولاده في نزهة. أخترهما أنه مشرور بعمله
في حديقة السيد بوزك. وانه يحفر حصونته للسيد مور. إذ قال: «إنه متحجر القلب،
والجميع يكرهونه».

رأت كارولين قيلة: «لا، ليس كلامك منصفاً إنه فقط يحاول تأمين نجاح
المصنع!» وأجاب دین: «قد يكون هذا صحيحاً. ولكن باستصعابه تحقيق ما يرمي إليه
بالتخلص من الآلات الحديثة واستخدام الحديد من العصور». وقالت كارولين: «لا،
فهذه الطريقة بتخلف المصنع. وهذا ليس لمصلحة أحد».

وتابعت الفتاتان طريقتهما وقد أظهرتا بعض الإعجاب بإخلاص فارن لمبادئه.
عند بلوغهما منزل القسيس هنستون. أعين أنه سببت خراج الممرير نيك المئنة لأن
عليه أن يزور صديق في منطقة بعيدة وقد. أنت مشغولة غير مفرجة في عيبي ي
كارولين. وستبقى الخاديمات معك، غيبك أن تتكدي من إقدار الممرير إقبالاً مُحكمًا.
فوضع قد يذهبون. لقد تعدى مؤخرًا مشيرو الشعب على عدد من المماري»
فهمت شيرلي: «لا عليك! أنت بحاجة إلى راحة مقدام يأخذ برمد الأمور يا سيد
هنستون. أرحوك، أفسح المجال ليكأني كيندر يتسمر لقيادة»
أجاب القسيس. «عني اترحب والمسة. سأبغ السيد برايور عن عدم عودتك مع
تارتر إلى بيده هذه المئنة!

قالت شيرلي بحماس. وقد أذرت المَشْغُولِيَّت: «هذا جيد! لكس حاجة إلى بعض
الأسبحة بدوع عن أنيس إذا ما اقتضى الأمر!»
قال السيد هنستون: «جاء. ستجدان في غرفة الضم يسكب مشحودة ومسدس
منقش بالرصص. ولكن اخترت عند استعمال هذه الأسبحة»
صديقه شيرلي قيلة. «لا تفتق. إني أحيي استعما السلاج»



فالت شيرلي بلهجة قاطعة: «لا، إنك ستغرقين الأمورا الأركي العاطفة حايئا يا كارولين. ليس لدى روبرت الآن وقتٌ للاهتمام بك، وهو ليس وحيداً، في الداجل خشدٌ من الرجال، يبتئهم بضعة جُودٍ عند لمحت أحدهم عثر الدابة.»

عندئذٍ سمع صوتٌ تخطير خصب، فالمشايغون كانوا يحطمون ابوابه الخارجية محاولين الدخول إلى ساحة المضجع. فإذا بالباب الخارجي يتهاز، وسط جلبة صاخبة. وبدفق المهاجمون إلى الباحة، مسلحين بالقضبان الحديدية ولقووس والمسدسات والبنادق، مُصممين على اقتحام المضجع.

أطلق المعتدون وإيلاً من الرصاص ناحده المضجع بقصبة نفس المهاجمين المتجهين بسرعة نحو الباب وفي هذه اللحظة أضيق نندفعون ائد، فسقط خمسة أو ستة من المهاجمين بش قتلٍ وحريقٍ عندئذٍ أرسل مهاجمون عدداً من الرجال إلى حنف المضجع للدخول من غرفة المدخسة. نكته لافو هناك أفض مقاومة صارية وما شوا أن اتقوا أن محاولة لاقتحام قد فشلت، فانسحبوا، تاركين وراءهم إصاباتهم

في تلك الليلة. بعد أن أوتِ الحاديات إلى فراشهن، جلست شيرلي وكارولين قرب دفة مشرعة، وقد وضعت المسدسين والشكين قربهما. في نحو الساعة الثانية عشرة من تارتري مضجع. وسمعت نناد وقع اقدم واضبات قربه انستحتا من الشبل الذي وصل إلى مشمعهما أن حمده كنوا ينهتزون لاقتحام المضجع. ومخذه سقطت لتدفئة أحد زحان فتدانة صوت جعل الكب نسخ ولما أدرك المعتدون أن أهل المنزل قد نكسوا بؤخودهم عادوا للمكان واتجهوا نحو المضجع.

هست كارولين: «لحقت الله! لكن ماذا سيحل بأصحاب في المضجع؟ يجب أن ننهضهم نغرف طريفاً قصيره غير الخفون. بإمكان نلوح المضجع قللهم إذا أمرعنا» انطلمت لمداد سرعته فتسقتش لخترون. عارتش بش الأنور وفوق الحدول وعند اقترنهما من المضجع سمعتا صوت طلفة بارية

هلت كارولين بصوت حاف: «هذه هي الأول. ونركز المعتدون. سأحاول الدخول من الحنف»

حَتَمَ عَلَى الْمَكَارِ سُكُوتٌ مَهِيْبٌ. ثُمَّ انْفَتَحَ الْبَابُ وَخَرَجَ مِثْلُ روبرت مور وَالسَّيِّدُ هُستون
وَكَانَ الْفِئَاءُ مُغْصًى يَقْطَعُ الْقِرْمِيدَ وَالْأُخْجَارَ وَالزُّحَاجَ الْمُخْطَمَ. وَكَانَتْ الْجَسَدُ الْقَتْلَى
وَالْخُرُجِي مَطْرُوخَةً هُنا وَهُنَا. شَقَّ روبرت طَرِيقَهُ إِلَى الْمَصْحَةِ لِيُغْسِلَ أَثَرِ الدَّمَاءِ عَنْ حَبِيْبِهِ.
وَعِنْدَمَا رَأَتْ كَارولِين ذَلِكَ. مِنْ مَحْتِئِهَا، صَرَخَتْ: «عَلَيَّ أَنْ أَدْهَبَ إِلَيْهِ، فَهُوَ مُصَابٌ!»
لَكِنَّ شيرلي قَالَتْ بِلَهَجَةٍ حَادَّةٍ: «الْأَفْضَلُ أَنْ تَرْحَلِ.»

اِقْتَنَعَتْ كَارولِين. وَلَكِنْ قَتَلَ أَنْ تُغَادِرَا الْمَكَانَ شَاهِدَتَا السَّيِّدِ مور وَالْكَاهِنِ يُسْعِفَانِ
الْخُرُجِي بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ بَعْدَ أَنْ أُرْسِلَا حَوْسَ سَكُوتٍ لِيَأْتِيَ بِالطَّيِّبِ.

قَالَتْ شيرلي مُصْرَّةً عَلَى مُعَادِرَةِ الْمَكَانِ: «تَعَالَى. لَقَدْ رَأَيْنَا كَيْفَ انْتَصَرُوا، وَمِنْ
الْمُسْتَحْسِنِ أَلَّا يَغْنَمَ الرِّجَالُ بِمَحِيَّتِنَا إِلَى هُنا. لِيَنْتَظِرَ أَنْ يُخْبِرَنَا روبرت بِالْقِصَّةِ يَوْمَ عَدٍ»
فِي صَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي رَارِ حَبْرَامِ يوزْكَ شيرلي وَهُوَ يَغْلِي عَيْنًا. لَقَدْ أَغْصَنَتْ لَاسْتِيعَاةُ
بِالْجُودِ ضِدَّ الْعَمَالِ. وَكَانَ مُقْتَنِعًا تَمَامًا بِصَوَابِ قَضِيَّتِهِمْ فَلَمْ يَغْفِرِ السَّيِّدَ مور وَالسَّيِّدَ
هُستون لِتَسْلِيْمِهِمَا فِي الْمُسْكِلَةِ.

كَانَ هَذَا - بِالنِّسْبَةِ لِشيرلي أَكْثَرَ مِمَّا تَحْتَمَلُ. فَتَارَ نَائِزَهَا وَأَبْذَنَ رَأْيَهَا بِلا تَرْدٍ،
وَأَقَهَمَتِ السَّيِّدَ يوزْكَ أَنَّهَا تَلُومُهُ عَلَى سِيَاسَتِهِ وَبَعْضِهِ بِشَكْلِ عَامٍّ يَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ بِالسُّلْطَةِ،
وَعَلَى تَشَبُّهِه بِرَأْيِهِ الْحَاطِي. وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، دَافَعَتْ عَنْ روبرت مور بِحِمَاسٍ.
أَمَّا السَّيِّدُ يوزْكَ فَقَدْ حَافِظَ عَلَى رِبَاطَةِ جَاشِهِ وَوَقَارِهِ. وَعِنْدَمَا نَهَضَ لِلرَّحِيلِ سَأَلَهَا
بِرُودَةٍ: «مَتَى سَيَسِمُ الرَّافُ؟» فَقَالَتْ شيرلي وَقَدْ فَاجَأَهَا السُّؤَالُ: «زَهَابٌ مِنْ» وَأَحَابَتْ
بِاتِّسَامَةٍ حَبِيْثَةٍ: «رَفَافٌ روبرت مور وَشيرلي كِبِلْدَارُ بِالطَّنْعِ»

حَدَّقَتْ شيرلي إِلَى رَائِزِهَا. وَقَدْ ثَارَ الدَّمُ فِي عُروِقِهَا وَانْعَقَدَ لِسَانُهَا مِنْ شِدَّةِ الْعَصَبِ.
وَتَجَسَّ لِسَيِّدُ يوزْكَ فَهَوَمَهَا فَرَحَلُ فَوْرًا مِنْ دُونِ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَتْ كَارولِين تُطِيلُ التَّفْكِيرَ فِي وَضْعِهَا الْيَائِسِ. وَدَأَتْ مُقْتِنِعَةً
بُحُوبِ مُعَادِرَتِهَا الْمَنْطِقَةَ. فَبَحَثَتْ هَذَا الْمَوْضُوعَ مَرَّةً أُخْرَى مَعَ السَّيِّدَةِ پَرِيورِ

قَالَتْ السَّيِّدَةُ پَرِيورِ: «سُكَّرْهَيْنِ مِثْلَ الْمُرْتَبَةِ. لِأَنَّهَا لَا تُسَبِّكُ. عَلَى الْفَتَاةِ الْخَمِيْلَةِ

مَشَتْ أَنْ تَسْقَى إِلَى الرَّوَّاحِ . لَكِنْ لَا تَنْظُرِي إِلَى الرَّوَّاحِ بِرُومُوسِيَّةٍ . لِأَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ
تُؤَدِّي حَتْمًا إِلَى حَيَاةِ الْأَمَلِ وَالتَّعَاسَةِ . لَدَيْ بَعْضِ الْمَوَارِدِ الْمَالِيَّةِ الْخَاصَّةِ . وَأَنْتِ أَنْ
تُتَخَّ نَيْثًا صَغِيرًا وَأَخْضَلْ عَنِ اسْتِقْلَالٍ تَامٍ عِنْدَمَا سَأْتُكَ شِيرَلي . أَوْ بِالْأُخْرَى عِنْدَمَا
سَتُظَرِّفِي . . أَوَدُّ أَنْ نَعِيشَ مَعًا . فَأَنْتِ تَعْلَمِينَ مَدَى حُبِّي لَكَ . فَصَلًا عَنْكَ تَبْدُو
مُتَمَتِّتِيرٌ فِي الطَّبْعِ وَالْمِزَاجِ . وَنَعْدُ وَفَاتِي كُلُّ مَا أُمِدُّكَ سَيُصْبِحُ لَكَ .»

كُذِّبَتْ هَذَا التَّصْرِيحُ كَارُولِينُ فَرَدَّتْ قَائِلَةً : «لَيْسَ لِي حَقٌّ الْمَطَاةِ بِشَيْءٍ يَا سَيِّدَةُ
بِرِيور .» فَقَالَتْ السَّيِّدَةُ بِرَابُور : «لَا أُسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أُنَوِّحَ لَكَ بِكُلِّ شَيْءٍ يَا كَارُولِين .
وَمَعَاصِي فَاتٍ . وَآمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَقْبَلُ مَلِيكَ بِالْخُصَادَةِ .» وَنَعْدُ أَنْ تَفْزَحَتْ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ
فِي نَعْدُ تَمَلِّكَ نَفْسَهَا . فَأَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ وَتَمَكَّنَتْ كَارُولِينُ مِنْ تَهْدِئَتِهَا . عَيْرَ أَنَّ هَذَا
حَدِيثَ الْغَرِيبِ الَّذِي جَرَى بَيْنَهُمَا أَوْقَعَهَا فِي خَيْرَةٍ .





«نفس إلى الندم . ثم أسرعته نحوه وهي تهتف فرحة «لويس» لويس ! يا لها من
«سحابة» كم أنا سعيدة لرؤيتك !» ثم لمعت إلى كارولين مشرفة الوجه وقالت «نعمي يا
«لويس» إنه أخي لويس فهو كما تعلمين مدرس هري» .
رحت كارولين بالرائر الجديد ، وما لبث روبرت ، شقيق لويس الأكبر أن انضم
إليهم في الفناء .

فأتت أورتانس محصة روبرت «عند حث في الوقت المناسب» هذه رقة من الزهر
جسر البري أرسلتها الآيسة كيلدار . اعتقد أنها لك يا روبرت .

فقال لويس : «يبدو أن روبرت هو المفضل هناك» .

لحلت أورتانس ««عربي لويس» روبرت هو المفضل هنا . أليس كذلك يا
«لويس» ؟» ثم نعت كارولين «أرى لويس أن يوحه السؤال إلى روبرت قبلاً» «وأنت يا
«لويس» ما رأيك ؟» فأجاب بهدوء : «عنيك أن تسأل الآيسة كيلدار عندما ستقي بها» .



لقد نفس شيري مشروع الرخلة إلى ينضمه البختيار إلى إشكندا مع كارولين .
وكن هذه الرخلة رحت سب محي حال شيرلي ووصيتها الشيد بيمسون إلى فيلدهد
برفقة روحته ونسبه بيمستين إيزابيلا وجرثود . وكانت شيرلي قد أمضت وسط هذه
لأشرة ستيل في حوبي أكثر عندما كانت أصغر سناً ولما كن تكمل هذه العائنة
محثة كسره وهذا ما لاحظته كارولين غير أنها اضطرت إلى دعوتها للمساء ضعة
سابع في فيلدهد ريثما يلحق بهم شهة لأصغر هري ومدرسة

شعل وقت شيرلي «لاختم بهؤلاء» «أصوف» «حدثت» «كارولين» «تسفر»
«روحته» «وكانت» «وبدت» «حدثها» «من دون هدف» «غير أنها» «تسعدت» «دات»
«صاح» «دعوة» «إلى» «تأول» «الشي» «مؤخهة» «إيها» «من» «أورتانس» «مور»

لقد هذه الزيارة إلى مرب آل مور ، دحل الفناء فحده رحن ينهي حوادا . فطرت

كنت كارولين في اليوم التالي تعبة بشكل غير مألوف ومحمومة، وفقدت شهيتها
لصّعام، ومُصّت ليشها تنقبّ أرقاً وتشعر بالعطش والحرارة، ونزى لكوايس. وقد
واضح أنّ الحصى اشتدت عليها. فأصبح شغل السيدة برايور الشاغل أنّ تزور بيت
لقسيس بانتظام. وعندما لاحظت، بعد أسبوعين، أنّ حالة كارولين لم تتحسن، طلت
من لسيّد هلستون أنّ يسمح لها بالنقاء في بيته للاعتناء بالمريضة. وزحّب السيّد هلستون
«لغرض لآله كان يغنم أنّ الآسنة كيلدار عائية عن منزلها في عطلة»

اعتنت السيدة برايور بكارولين ليل نهار، غير أنّ كارولين كانت تردّد وهماً وهراً،
كأنّ الحياة لم تعد تغني لها شيئاً. فقالت لها السيدة برايور «كارولين، حبيبي، عليك
أن تشدّي عزمك كي تتحسن حالتك».

قالت كارولين: «إني آسفة يا سيّدة برايور. ليس لي في الحياة هدف أعيش من أجله».

لكي أبدي لك بعض المحنة والاهتمام أليس كذلك؟

كُل تأكيد. وأنت تعرفين مدى تعلقي بك!

وتردّدت لسيّدة برايور هنيهة. ثم قالت: «إن كنت تحبيني إلى هذا الحد فبمكاني
أن ألوّح بك سرّ مهم، اعلمي يا كارولين أنّك ابنتي!»

فسألتها كارولين مذهلة: «هل نغيب أنّي ابنتك بالشيء؟»

وأجابت السيّدة برايور: «كلاً، بل أنا أمك الحقيقية!»

فقات كارولين مذهلة: «لكن السيّدة جيمس هلستون هي أمي!»

تابعت لسيّدة برايور كلامها: «أجل، يا حبيبي. جيمس هلستون كان روحي»

قالت كارولين وقد قطع أنفاسها هوك الحر: «أنت حقاً أمي!»

وبدت كأنها غير قادرة على استيعاب ما سمعت. وتابعت وقد علا صوتها: «إنّ هذا

سيبدّل حياتي، إني أرغب في الشفاء من كلّ قلبي فلديّ الآن شخص أعيش من أجله».

وعاقت لسيّدة برايور انتها التي أحدثت تدوّع دموع الفرح.



لَمَّا أَحْتَرَّتِ السَّيِّدَةُ بَرَابُورَ بَنَتَهَا كَارُولِينَ قِصَّةَ زَوَاجِهَا الْبَائِسِ وَمُصَارَعَتِهَا مِهْنَةَ الْمُزَيَّنَّةِ
نَعْدَ قَسَلِ زَوَاجِهَا وَسَأَلَتْهَا كَارُولِينَ: «وَلَكِنْ لِمَ لَمْ تَتَّعَرَّفِي إِلَيْهِ أَحَدٌ عِنْدَمَا أَتَيْتِ إِلَى
مِسْجِدِ رِفْقَةِ الْآيَةِ كَيْلِدَار؟» فَحَبَّتْ: «عِشْتُ هَذَا وَقْتُ قَصِيرٍ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً مَضَتْ.
وَكُنْتُ تَدَاكُ فَتَاةً نَحِيَّةً.»

وَحِينَئِذٍ أَنَّى السَّيِّدُ هُنْتُونِ لِيُظْمَرِي إِلَى كَارُولِينَ أَكْثَرَهَا أَلَّ السَّيِّدَةُ بَرَابُورَ هِيَ حَقًّا
أَعْيَسَ جِيمَسَ هُنْتُونِ. وَفَرَحَ بِتَحَسُّنِ حَالَةِ كَارُولِينَ الْمَحْضُورِ بِأَثَرِ تَقْبِيهَا هَذَا احْتَرَّتِ

مُنْذُ دَيْتِ الْيَوْمِ أَخَذَتْ حَالَةَ كَارُولِيسِ الصَّحِيَّةَ تَتَحَسَّنُ بِسُرْعَةٍ. وَفَرِحَتْ شِيرْلِي بِهَذَا
التَّحَسُّنِ عِنْدَمَا قَامَتْ بِزِيَارَتِهَا نَعْدَ انْتِهَاءِ عَظَمَتِهَا. وَهَنَّتِ السَّيِّدَةُ پَرَايُورَ عَنَى عَمِيدَتِهَا الْعَائِقَةَ
كَارُولِيسَ. ثُمَّ سَأَلَتْهَا «وَهَلْ سَتَعُودُ مُرَتَّبِي إِلَيَّ قَرِيبًا؟»

قَالَتْ كَارُولِيسَ مُوجَّهَةً كَلَامَهَا لِلْسَّيِّدَةِ پَرَايُورَ «هَلْ بِإِمْكَانِي أَنْ أُخْبِرَ هَذَا؟»
وَبَعْدَ أَنْ سَمِعَتْ لَهَا بِأَحْتِشَاشٍ لَشِيرْلِي بِسَرِّ أُمِّهَا الْعَرِيبِ
قَالَتْ شَرِي. «بَنَةُ حَرٍّ عَظِيمٍ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفَاجِئْنِي. لَقَدْ سَنَقَ وَتَنَتُّ بِهِ لِأَنِّي كُنْتُ
أَعْرِفُ بَعْضَ أَسْرَارِ السَّيِّدَةِ پَرَايُورَ قَتْلَ أَنْ تُصْبِحَ مُرَتَّبِي. فَضَلًا عَنِّي لَاحِظَتْ أَهْتِسَامَهَا
لِلْبَالِغِ وَالْمُتَوَصِّلِ بَلْ، مُنْذُ أَنْ أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ. وَهَذَا مَا خَفِيَ فِي لُتْهِيَةِ أَحْسَنُ
لِحَقِيقَةٍ.»

فَسَأَلَتْهَا كَارُولِيسَ. «وَلَمْ كُنْتَ هَذِهِ الشُّكُوكَ عَنِّي؟»

وَأَحَدَتْ شِيرْلِي: «اعْتَرَفْتُ أَنْ حَقَّ كَشْفِ السَّرِّ يَعُودُ لِوَالِدَتِكَ وَخَذَهَا.»
بَعْدَ فِتْرَةٍ أَضْطَحَتْ كَارُولِيسَ قَادِرَةً عَلَى الْقِيَامِ بِرِيَارَةٍ إِلَى فِيلْدِهْد. حَيْثُ تَعَرَّفَتْ عَن قُرْبِ
بِحَالِ شِيرْلِي وَوَصِيَّتِهَا السَّيِّدِ سَمْسُونِ وَزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ حَرْتُرُودَ وَبِيرِيلَا وَهَرِي.
كَانَ لِسَيِّدِ سَمْسُونِ رَجُلٌ أَعْمَالٍ ثَرِيًّا سَرِيعَ الْأَفْعَالِ مَبَالًا إِلَى الْقَلْقِ. مُتَشَشَّ بِرَأْيِهِ
مَدِّي تَفْكِيرٍ. أَمَّا زَوْجَتُهُ فَتَكَلَّمَتْ تَخَصُّعًا لِلتَّقَالِيدِ حُضُوعًا أَعْمَى. أَمَّا ابْنَتَاهُمَا فَلَا تَقْصُصُهُمَا
الْحَادِثَةَ. وَلَكِنَّهُمَا عَلَى غِرَارٍ وَالدَّتِيهِمَا تُقْلَدَانِ تَقَالِيدَ الْعَادَاتِ وَالْأَرْيَاءِ السَّائِدَةِ. وَلَا عَجَبَ
أَنْ آثَرَتْ شِيرْلِي صَدِيقَتَهَا كَارُولِيسَ عَلَيْهِمَا وَرَعَتْ بِضَخَّتِهَا فَحَادِثَتِهَا تَقُومُ عَنَى دَكِّهِ حَادٍ
وَبَرَاءَةٍ أَصِيلَةٍ.

أَمَّا هَرِي، الْإِبْنُ الْوَحِيدُ فَقَدْ كَانَ أَغْرَحَ مُنْذُ طُفُولَتِهِ. لِذَلِكَ أَحْتَنُّ أُمُّهُ وَدَلَّتْهُ بِصُورَةٍ
حَاضِيَةٍ. وَتَعَلَّقَتْ بِهِ شِيرْلِي عِنْدَمَا كَانَتْ تَتَلَقَّى مَعَهُ دُرُوسًا خُصُوصِيَّةً عَنَى بَدِ لُوسِ مَوْرِ
قَرِيبِ كَارُولِيسَ وَشَفِيقِ رُوبرْتِ، وَذَلِكَ أَثَاءَ إِقَامَتِهَا مَعَ أُسْرَةِ سَمْسُونِ.

مَا مَشَتْ كَارُولِيسَ أَنْ لَاحِظَتْ انْتِعَادَ لُوسِ مَوْرِ عَن عَائِنَةِ سَمْسُونِ فَكَانَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا
بَصْدَاقِهِ يَنْمِيدُهُ هَرِي وَكَلْبُ شِيرْلِي نَارِوَرِ وَشِيرْلِي نَفْسُهَا كَانَتْ تُعَذِّبُهُ مُعَذِّبَةً لُغْرًا.

تَوَحَّهَتْ كَارُوليسُ إِلَى شِيرلي بِسُوءِ وَهْمٍ تَمَشَّيدٍ يَوْمًا فِي الْحَدِيثَةِ: «هَلْ كُنْتَ
تَعْلَمِينَ أَنَّ لُويسَ قَرِيبِي. قَتَلَ مَجْبِيءَ أَشْرَةٍ يَسْمُونُ إِلَى هَيْدِيدِ لِيرِيَارْتِكْ».

أَحَدَتْ شِيرلي: «بِالضَّعْفِ نَقَدْ كُنْتُ نَمِيدَتُهُ أَثَاءَ إِقَامَتِي مَعَ أَشْرَةٍ يَسْمُونُ، وَأَخْبَرَنِي
عَنْ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِعَدِيَّتِهِ».

وَنَافَتْ كَارُوليسُ: «تَشْعُرُ أَنَّ نَفْسِي نَائِي عَنِ ذِكْرِهِ أَمَّا قَدْ مَعَ عِلْمِي بِأَنَّهُ
قَرِيبِي!»

فَدَاَتْ شِيرلي: «أَنَّهُ عُثِرَ هَذَا يَوْمًا حَتَّى - بِكُلِّ بَسَاطَةٍ - أَنَّكَ تَذَرِينَ».





أثار هذا الوضع قصور كدولين وحيرتها فقلت «بدو لي يا شيرلي أنك تكرهين
لويس من لأنه مُدرّسٌ بسيطٌ؟ هل كنتِ تفضّلين أن يكون ذا مركز اجتماعي على غرار
أخيه روبرت يتعامد به مُعاملة صديق أو شخص من مُستوالك؟»

فقلت شيرلي بأدراء «أشتاق ما يش لويس وروبرت»

قالت كدولين: «بالرغم من أنه لا يُضاهي أخاه روبرت وساقته، إلا أنه يتحلّى أيضاً
بالمُباينة والبرودة وشيّد هُول. كهل سليلي تُش على دكانه ودوقه المُرهب بعد أن
رافقه في زُهابة في منطقة الحُبيرات»

أردفت شيرلي نهنكهم «عب أن رُحصى لويس إذا لأنه أخو روبرت ولأن الشبّد هُول
مُحبٌ بذكائه سكّفت عن تتحدّث عنه وإلا انتهى به الكلام إلى الشجار»

كان الشبّد سُمسون حان شيرلي ووصفها قد أُنِي إلى ميلدهد آملا في أن يختار لأنه
أُخبه رُوحاً مُباينة كُتُهم لم يتفقاً فقط على ما تغيبه لفظة «مُستوال»، لأنهم مُختلجان
تماماً في خلق وإسراج. الشبّد سُمسون ماديّ ذُئويّ طُبع ومُحبٌ لنشغفة والقدم

بينما شيرلي ذات مزاج حالم وتُحبّد حُرّة الفرد واستقلاليته ولا تتقيّد بأيّ مصم

نوه الشبّد سُمسون في سياق حديثه مع شيرلي بثلاثة رجال قد يطمون يدها غير
أن مُحاولته كانت عقيمة. شيرلي مدهة واعية مُستغفة الرُي. ولم تكن تتخصع لإرادة
أحد. أمّا الاسم الوحيد الذي لم ترفضه بأدراء فكان الدروب فيليب سليلي الذي كانت
تُخرمه وتُفتره بساد رُيّا مُتفقا غير مُتكلف. وقد التفت به يضع مِرّت على مشر يخته
وفي منزله وفي فيدهد. نكتها لم تُفكر قط في الاقتران به. أمّا الشبّد سُمسون فكان
ينسى أن توطّد هذه الصداقة وتحوّل إلى حُب حقيقيّ.

كان الشبّد يوزك على عُمير بهذه التظُّورات. فقال لويس يوماً «عشت أن تتعث
لأحبك روبرت برسالة تُحدّره فيها من معنة بقلبه بعيداً. فهذا ما سُمفدهد فرصة المُعتر»

فسأته لويس بشيء من المُخشنة «هل تغني روبرت والآسة كيداً؟»

أجاب الشبّد يوزك قائلاً «أجل. إنها تُقدّره بما فيه الكفاية. وهو - على كُلّ حالٍ
أفضل من ذلك البارون القُصير»

نَعْدُ نَصْفَةَ أَيَّامٍ جَاءَ هَرِي إِلَى لُورِسَ وَهُوَ سَحَالَهُ دَعْرٌ شَدِيدٌ. وَهَدَاهُ سَيِّدًا مَرَّصَ
شِيرِي، لَا تَلْ يَشْرَافُهَا عَلَى الْمَوْتِ، حَتَّى إِنَّا دَهَبْتُ إِلَى سَتِيلَ بُوْرُو حَيْثُ انْتَقَتْ
بُحَامِيهَا لِتُخْضِرَ وَصِيَّتَهَا.



بدا هذا الخبر بعيداً عن تصديق. لا أن لويس اكتشف. لاحقاً. أن في كلام
هيري شيئاً من الصحة فقرر أن يستوضح شيري الأمر.

قالت شيرلي: «أجل يا لويس. إني في خطر شديد. فمُنذ بضعة أيام عَصَنِي هي
دراعي كُتب سام بورتو. وغيمت ثمة مُصابٌ بدء الكُتب. نُصفت الحُرج وعالجته بكَي
بِنُسي. وقررت ألا أخبر أحداً بهذا الحديث المُريب. وه إنك تعرف هيري الآن
بُدت لويس فتن عميق لأنه يعلم مدى خطورة هذا المرض المُهِيب الذي يُنسب
حالا في الدمع ويؤدي حتماً إلى موتٍ نصي وأليم. فقلت: كان غيثك أن تُحرب
بدلت أو عني لأقل أن تُششيري صيداً أنه تعلمي ثمة تشخيص أن تبقى بي»
قالت شيرلي: «لست متأكدة من ذلك. تتدوي أخيراً مُكثراً ومُخففاً».

قررت لويس بقوة: «هد بسبب فقري ومهنتي المتواضعة. فعدي ما يرافق الفقر اغترار
بالنفس. فضلاً عن أنني كنت دائماً حائرة في أمرك. فدرة تُظري بي بصره المُسيبة
المُخترمة لأشدها، وطوراً تُعين معي دور سيدة القصر المُشعبية فزيت أن أعيدك
بُحدر. أم لا؟ ففُرح مُدعة نُصِب لإشعارته بما يجب عمله».

فصالت شيرلي مُدعة بقرار لويس من غير تردد. «فعل ما تراه مُناسباً».
عندها نني نُصِب ليعين شيري. في ليوم ديه. أُعُت أن الحُرج بات سليماً وأن
المُحوصات قد أُنشئت عديم إصابة الكُتب بدء الكُتب فتُمنى الجميع المُقعداة جبال
نُحاة شيرلي من الحُصر.

وفيما كانت شيري تُستعد للمُعادرة الحُرج أُنشئت نحو لويس وسأته: «هل أُنشئت
أُحيث مُؤخر».

فأجابها: «كلا. كَي أُنشئت عُنين سبب دهم بي ثدن. فمُنذ مُصطراً للعاية نُعد
بِقائكم الأخير. أض أنك صُعبته في كُتريه. بدا أُرذت ما كُتبه وأُصلب منه أن يعود
فقد صُعبته شيري قديمة: ولكن رُجوك. لا تُقل له بِن أميبي. كُتب له ففص أن عودته
بي المُصنع باتت مُستحسنة».

دات يوم سَمَحَ أَهْلُ الْمُنْطَقَةِ نَاحِيَةَ دُاعَةِ الرُّعَى وَالتَّيْبَةِ وَاسْتَحْكَمَ غِيَبُهُمْ قَصْدًا فِي رَمْعِهِمْ.
وَكَانَ روبرت مور ما يَرى فِي لُندن. فَاعْتَقَدَ سَوَادُ النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ يَحْشَى الْعُودَةَ إِلَى
هَوْلُو، نَيْمًا كَانَ هُوَ فِي الْوَقْعِ فِي مَهَبَةِ طَرِيقِهِ عَائِدًا إِلَى سَهْلِ التَّقَى مَوْزِ أَتَمَّ الْمَسِيرِ
بصَدِيقِهِ الشَّيْخِ يوزك عَلَى الطَّرِيقِ الْعَدَمِ الْمُعْتَمِ فَتَادَلَا التَّحَبَّاتِ الْحَارَّةَ، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ
يوزك روبرت «لِمَ أَصَلْتَ الْعِيَابَ يَا روبرت» لَقَدْ حَشِيتُ أَنَّ تَعَوَّكَ فُرْصَةً لِقَاؤِ بِيَدِ
شِيرلي كِينْدَارِ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تُصَحَّحَ اسْتَبَدَّةُ بَالِي قَتْلِ عِيدِ الْمَلَادِ.

سَأَلَهُ روبرت. وَكَأَنَّهُ يَرى فِي الْمَسَاءِ مُرَاحًا «وَهَلْ قُلْتَ مِنْ يَدِي مَهَبَةً» فَأُجِبَهُ
«إِنَّ الشَّيْخَ سَيَبِي إِسْدَادًا حَالَمٌ يَنْطُمُ الشَّجَرِ الْفَارِعَ وَزَيْمًا لَا تَرَالُ شِيرلي تَمِيلُ إِلَيْكَ، فَانْزِلْ
فَرَزْهَا لِتَحْقُقَ مَوْقِفَهَا» وَفَهَّمَهُ روبرت. فَتَسَاءَلَ يوزك. «لِمَ تَصْحَكُ»

فَأُجِبَهُ «تَصَوَّرْتُ أَنَّ الْأَسَةَ كِينْدَارِ يَرى فِي شَخْصِي وَفِي أَعْمَالِي مَا قَدْ يَخْدُنَهَا.
فَقَدْ كُنْتُ أَفْتَمَامًا بَعْمِي. حَتَّى بَرَأَ أَفْرَصَتِي حَمْسَةَ آلَافٍ خَبِيرًا لِتُسَاعِدَنِي عَلَى مُوَاجَهَةِ
أَعْدَاءِ الْمَضْجَعِ وَعَلَى إِبْرَءِ دَمِّ أَصْحَابِ شَهَةِ مُقْتَسِعٍ بِأَنَّهَا تُحْثِي».

سَأَلَ الشَّيْخُ يوزك «هَلْ وَفَعْتَ أَنتَ فِي خُتْبَةٍ» فَأُجِبَهُ روبرت «كُنْتُ فِي جَدَّةٍ، لَا
بَلْ حَلَاةٍ وَهَرِيدَةٍ. إِلَّا أَنَّا لَمْ نَشْعُرْ بِشَا مُتَقَدِّرًا مِمَّا فَعَلْنَا لَكُنِّي فَكَّرْتُ هَوَائِدَ الْآفَتِ بِتَوَرُّدَةٍ
مِنَ الْمُنْطَقَةِ. فَطَلَعْتُ يَدِي طَكًا مَنِي أَنَّهُ تَتَوَقَّعُ خَدِّهِ الْمُدْرَةَ»

عَادَ الشَّيْخُ يوزك لِيَسْأَلَ: «وَكَيْفَ كَانَتْ رَدَّةُ عَهْدِهَا» فَارْتَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيْ روبرت
انْسَامَةٌ حَرِيَّةٌ وَقَالَ «نُصِصْتُ مَذْهُوشَةً، لَا بَلْ مَذْعُورَةٌ فَكَّرْتُ طَلْبِي كَيْ تَقْهَمَنِي
نُصُوحِي» سَأَلَهُ يوزك بِلَهْفَةٍ «مَاذَا كَانَ حَوَالِهَا»

فَقَالَ «حَزَنِي مِنْ أَوْهَامِي، وَادَّعَا نِي بِطَرِيقَةٍ حَاسِمَةٍ، وَاعْتَرَتْ أُنِي بِطَلْبِي هَذَا
كُنْتُ أَقْرَبُ إِلَى لَصٍّ يَسْتَبُ مَا بِهَا مَنِي إِلَى عَاشِقٍ يَخْتُمُ بِخُتْبَةٍ وَأَقْرَبْتُ بِأَنَّهَا تُكْرَهُ لِي
الْوَدَّ وَالْإِخْرَاءَ. وَعَثَرْتُ عَنْ أَسْهَدَ لَأَنَّهَا حَمَلَتْنِي بِتَصَوُّرِهَا - عَلَى الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّهَا
نَحْشِي وَبَعْدَ نَدَائِكَ لِكَلَامِ يَهْدِي الْقَصْرَ حَتَّى أَذَى بِي شُعُورِي الْعَمِيقُ بِالْإِخْرَاجِ إِلَى التَّشْكِيرِ
فِي الْعِيَابِ عَنِ الْمُنْطَقَةِ لِقَرَّةٍ مِنَ الرَّمْسِ»

بَعْدَ هَذَا الْحَدِيثِ، نَاحَ الرُّخْلَالِ سِيرُهُمْ ثُمَّ تَقَدَّمَ يوزك عَلَى رَمِيقِهِ أَدَى تَوَقُّفِ قُرْبِ
حَدُولِ لِيَسْأَلَ حَوَادَةَ وَنَيْمًا كَانَ يوزك يَسِيرُ عَلَى مَهَلٍ فَوْجِيٍّ بِرُؤْيَةٍ حَيَابٍ قَاتِمٍ بِظَهْرِ
بَيْنِ الشَّجِيرَاتِ. وَإِذَا بِتَوَيٍّ يُتَرَقُّ شَكْوَى اللَّيْلِ، فَابْتَسَى أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ نَارَ الْمَحْرُصِينَ الَّذِينَ
أَدْبَسُوا فِي رَمْعِهِمْ وَكَانَ روبرت مور يَنْزِفُ عَلَى الْأَرْضِ فَاذَ الْوَعْيِ



في فليدهد لم ينكر السيد سمسون قد فقد الأمل بعقد زواج شيرلي إلى أسير فيليب
ديلي، بدلت ضيق عندما أخرته شيرلي بكل صراحة ووضوح أنها رفضت حب أسير
فيليب بشكر قطع. وأصافت شيرلي مزرّة موقعها. «أرى أنه يفتقر إلى الضح ولا
شيء يجمع بيننا. إنه ليس الطبع وأنا لن أقترن إلا بمن يستطيع بثوته أن يحبني
ويؤخهي بحيث على زوجي أن يكون حديراً باخترامي.»

ورثت مؤفف شيرلي السيد سمسون وأكد له شكه في أن تكون مفتونة بأحد الشعيرين
الحقيرين أو مفلس روبرت مور كما تفيذ الإشاعات. وأحيراً بعد صبره فقال. «أنت
تشبسين إلى عاتية مخرمة يا شيرلي. عليك ألا تقترني بمن هو أدنى منك مقاماً. قد
وضعت إلى مشمعي إشاعة صداقتك الحميمة مع هذا المستأجر المفلس روبرت مور!»
التفتت إليه شيري عاصّة وقالت: «إنه على الأقل دكي ووسيم وصاحب قرار.»
فداعها السيد سمسون قائلاً: «هذا غير معقول! مور إنسان عديم لشأن. وأخوه هو
مدرس أبي هنري. فهل ترصين بمثل هذا النسب لعائلتك؟!»

صرحت شيري وقد أعاطها كلامه: «أزحوك كف عن التدخل في شؤوني الخاصة،
فلا سلطة لك عليّ. وأنا أتوي أن أنصرف على هواي.»

ثم استطاع السيد سمسون تحلل المزبد. فقال بصوت هادئ: «ستلحقين العاز
للعائنة. لن أكرمك بعد الآن. ستعادر مبعث عدا.» ثم ترك العزفة غاضباً.

وصل لويس بعد قس ورأى شيرلي مضطربة فقال: «لا أنت من أن السيد سمسون
كان يصابق! فقد بدا لي مغناطاً وطلب مني أن أشتعد للرحيل.»

فسألته شيري وقد اشتد حزنها. «وهل سترحل أنت وهري أيضاً؟»

أجاب لويس: «أجل، للأسف علينا أن نرحل جميعاً. ولكن لديّ حزن أشوأ: فقد
عشت أن روبرت أصيب بطلقة بارية. وهو الآن في برايمسز عند السيد يورك قد
هاجمه المشاغبون.. غير أن حالته ليست خطيرة وسوف تتحسن سريعاً.»

وكان هذا الحزن ينشأ من شيرلي الضربة القاسية. وفي عشرة اثنى عشر. قبضت على يد
 لويس وأخضت منه تجوؤاً حاراً هو أقرب إلى عضة لمحنة منه إلى التعاطف.
 قال لويس. "لا بد أن هذا نعيم قد وصل إلى أورتاس. ولكن عليك أن تسع
 كارولين هينتون بعد جري. قد كنت شيرلي سأخبرها بنفسها. " ولست يدع على
 مضطرب. وأنه يقفه أن يلاحظ ذلك.



إثر تنقّي كارولين حصر إصاية روبرت ووجوده في برايمير بعناية السيّدة يورك.
أدركت على الفور ضرورة النحث عن طريقة ما للقيام بزيارته وما لبثت أن علمت أن
السيّدة يورك وورثانس أخته اللّتين تعنيان به. لا تشفحان بأيّ ريدة. فضلاً عن أن
السيّدة هورسفول الشريفة قد تولّت تنفيذ أوامر الطبيب. وفي أيّ حال لا محال لاستقبال
السيّدة يورك أيّاً من عائلة هلمستون في منزلها. فاضطرت كارولين إلى البحث عن صرق
أخرى لرؤية روبرت وهذا ما قامت به بمساعدة مارتا أخد ألباء السيّد يورك، وهو فتى
في الخامسة عشرة، مُعتم بالحيويّة، ومُعجب بكارولين ومُحبص لها.

توصّل مارتا بنهاية إلى إبعاد السيّدة هورسفول بعد أن تأكّدت من عيب أمه
ورثانس، ثمّ صعدت وكارولين بخذر إلى غرفة روبرت. قرع مارتا الباب وقت: «يا سيّد
مورا! إن سيّدة تشا عث، حثّ بها إليك مُتّهزاً فُرصة غياب أهل لبيت!»

فأنى الجواب: «لا يُمكن أن تُخبر سيّدة إلى هنا.»

قال مارتا مُبسّماً: «حسنًا، سنعود أدراجنا!»

هتف روبرت: «لا، يا مارتا، تمهل، من هي؟»



أجاب مارتن وهو يعمُرُ كارولين: «إنها جَدَّتُكَ العَجُورُ الآتِيَةُ مِنْ سَحْبِكَ!»

فَقَدَ روبرت: «تَوَقَّفْ عَنِ اللُّهُو يا مارتن! مَنْ هِيَ؟ صِفْهَا لِي!»

قَالَ مارتن: «إنها شَابَةٌ حَمِيلَةٌ بِ سَيِّدُ مَورِ إنها الْآبِسَةُ كارولين هَلْستون. لَكِنْ سُرْعَا أَمَامَكُمَا عَشْرُ دَقَائِقَ فَقَطْ قَبْلَ أَنْ يَعودَ الْآخَرُونَ.»

وَدَخَلَتْ كارولين العُرْفَةَ وَقَفَّهَا يَخْفِقُ. فَوَجَدَتْ روبرت حَالِيًا عَنِ كُرْسِيِّ بِالْقُرْبِ مِنَ النَّافِذَةِ. فَصَاحَ روبرت مُبْتَهِجًا: «أَحْبِرَا حَتَّى! كَمْ طَالَ غِيَابُكُمَا. وَكَمْ كُنْتُ كَثِيرًا يَا كَارِي.»

فَقَالَتْ كارولين: «جِئْتُ مَرَّتَيْنِ بِرِفْقَةٍ أُمِّي. لَكِنْ السَّيِّدَةُ يوزك لَمْ تَسْتَقْبِلْ.»

قَالَ روبرت وَقَدْ بَدَأَ الْإِزْتِيَاخَ عَلَى مُحَيَّاهُ: «إِذَا لَمْ تَهْجُرْنِي تَعْدًا. إِنْجِيسِي وَحَدَّثِي. إِنِّي أَشْعُرُ بِالتَّوَحُّدِ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ. وَكُنْتُ مُتَنَاقِضًا لِرُؤْيَيْكَ!»

فَرَدَّتْ كارولين قَائِلَةً: «لَوْ كُنْتُ عَنِ عِنْدِ بَدَلِكِ. لَدَخَلْتُ بِالرَّغْمِ مِنْ إِرَادَةِ السَّيِّدَةِ يوزك وَتِلْكَ الْاِمْرَأَةُ الْمُتَوَحُّشَةُ السَّيِّدَةِ هورسفول. وَالْآنَ. وَقَدْ تَحَسَّسْتُ حَالُكَ بِصُورَةٍ مُنْحَوِصَةٍ، يَمْ لَا تَعودُ إِلَى مَزِيلِكَ؟ سَتَغْتَنِي بِكَ أَوْزُنَائِسُ.»

فَعُتِفَتْ لَهَا روبرت قَائِلًا: «حَالَتُ كَأَنِّي دُونَ قِيَامِي بِهَكَذَا مَخْهُودٍ. فَتَدَتْ لِي حَيَاتِي نَافِثَةً مِنْ دُونِ هَدَفٍ.»

فَقَالَتْ كارولين: «أَعْرِفُ تَعْدًا مَا شَعَرْتُ بِهِ لِأَنِّي مَرَرْتُ بِالشَّجَرَةِ نَفْسِهَا حَتَّى إِنِّي لَهُ أَعْدُ أَرْغَبُ فِي الْعَيْشِ.»

فَقَدَ روبرت آجِدًا يَدَهَا: «إِذَا سَامِعْتَنِي يَا كَارِي فَسُتُساعدُنِي عَلَى لُشَاءٍ!»

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ فَتَحَ مارتن الْبَابَ مُدِيدًا: «هَيَّا! حَانَ الْوَقْتُ لِكَيْ تَرْحَلِي!»

لَهُ قَدْ دَيْتُ الشَّابُّ الْعِثْدَامُ كارولين بِسُرْعَةٍ إِلَى الطَّابِقِ الْأَسْفَلِيِّ قِبَالِ الْخَارِجِ.

أثَّرت ريدرة كارولين في حالة روبرت الصَّحِيَّة تأثيْرًا عميقًا، فأخذ يتَّعَمَّى بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ. وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ عَادَ إِلَى مَثَرَلِهِ. فَرَحَّبَتْ بِهِ أَوْرْتَانِسُ وَدَعَتْهُ إِلَى الْخُلُوسِ قُرْبَ مَوْقَدٍ تَتَأَجَّجُ فِيهِ النَّارُ. وَقَبْلَ أَنْ تُخْضِرَ لَهُ الشَّاي سَلَحَهَا وَرَقَةً بَعْدَ أَنْ دَوَّنَ عَلَيْهَا بَضْعَ كَلِمَاتٍ. وَصَلَتْ بِرُسَالَتِهَا إِلَى مَثَرَلِ الْقَبَسِيِّسِ. وَسَرَّعَانَ مَا خَصَرَتْ كَارُولِينُ. فَتَاوَلُوا الشَّاي بِهَدْوٍ قُرْبَ الْمَوْقَدِ. ثُمَّ تَرَكَتُهُمَا أَوْرْتَانِسُ وَخَذَفَمَا.

قال روبرت: «تبدى اليوم مشرورة لبعدي يا كارولين! فما سبب هذا الفرح؟»
فجالت: «إفرحني أسباب عديدة أحدها هو جمع شملي مع أمي كما تعلم، وسبب آخر هو شفاؤك التام واستئناف صداقتنا السابقة. لقد شعرت يومًا أنني قد فقدتك إلى الأبد.»

قال روبرت: «سأعترف لك يومًا بتصرف غير لائق فنت به.»
فجالت كارولين: «أعتقد أنني أعرف ما يفكر يا روبرت. لقد تحدثت مع السيد يوزك والآيسة كيندار. وأطقت أنني أعرف لموضوع.»

سألها روبرت: «هل أخبرتك أنني صنت بدها من أخلي مالها ومن غير حب؟»
فأجابته: «هي ندوم بنفسها على ذلك. فقد أعجبت بك دائمًا واحترمتك واعتبرت أنك أخص أكثر من خبيب. وإذا أخطأت فهم صداقتها فهي ترى أن تلك هي عطلتها.»

فقال روبرت وقد نفَسَ الصُّعْدَاءُ: «هذا يريحي فعلاً. الآن تعلمين الأشياء عني. وعلى كل حال، قد رقصني بازدراء. أعتقد أنني أصبحت أقهرها الآن، فهي متعخرة ومزهوة، ورُبَّما لن تزوج أبدًا لأنها لا ترضى أن يشاركها أي رجل في أملاكها وتسلطها.»
قاطعت كارولين مختنجة: «لا يا روبرت إنك مخطئ تمامًا. شيرلي قادرة على الحب، فقد باحت لي بإخلاصها وآمالها.»

فسألها روبرت مندهشًا: «ماذا تقولين؟ أيمكن أن تحب أحدًا؟ ومن هو ذلك الرجل الذي اختارته من بين طالبي يدها الكثيرين؟ هل هو الشير نالي؟»
أجابت: «إذا أخبرتك من هو، فعليك أن تكتم السر حتى عن أخيك لويس.»



وَنَعِدُ أَنْ رَفَقَ عَنِّي صَاحِبُهَا فَهَمَسَتْ أَسْرَرَ فِي أُذُنِي. قَدَا مُنْذِهِنَا نُمُ صَاحِبُكَ يَهْدُوهُ وَقَدْ
«إِنَّهُ مِنْ خَيْرِ بُنَرِخِي، إِذَا شِيرَافِي قَادِرَةٌ عَلَى الْحُبِّ وَرُغْمَ كُلِّ شَيْءٍ. أُنْشَاءُ كَيْفَ لَهُ
يُؤَثِّرُ فِيَّ خَدَمُهَا الْعَائِلِ. رُبَّمَا كُنْتُ أَنَا غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْحُبِّ!»

فَقَدَا كَارُولِينُ وَهِيَ تَسْتَبْشِرُ: حَسَنًا فَعَلْتَ! فَبَدَا أَحْسَنُ. عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ الْآنَ.
طَابَتْ لَيْلُكَ.

تَقْدَةُ روبرت نَحْوَهَا وَهِيَ تَنْهَضُ لِلزَّحِيلِ، وَقَالَ: وَلِمَاذَا تَذْهَبِينَ كُلَّمَا احْتَبَجْتُ إِلَى
وُجُودِكِ بِقُرْبِي يَا كَارِي؟

فَسَأَلَتْهُ مُدَاعِبَةً: «هَلْ لَدَيْكَ مَا تَقُولُهُ بَعْدُ؟»

فَأَجَابَهَا: «نَعَمْ يَا كَارِي. حَافِظِي عَلَى حُبِّنَا!»

قَالَتْ: «لَطَالَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَسَاطِلُ هَكَذَا إِلَى الْأَبَدِ!! كَيْفَ لَمْ تُلَاحِظْ ذَلِكَ بَعْدُ؟
طَابَتْ لَيْلَتُكَ!»

أَمَّا فِي فِيلْدِهْد فَقَدْ قَرَّرَ السَّيِّدُ سَمْسُون بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ مَلِيًّا - تَأْجِيلَ زَحِيلِهِ وَالتَّقَاءَ
لِفَتْرَةٍ أُخْرَى لَعَلَّهُ يُعَيِّرُ زَايَ ابْنَةَ أُخْتِهِ فِي الرُّوَّاحِ، فَكَانَتْ فِتْرَةٌ هُدْنَةٍ يَسْوِدُهَا جَوٌّ مِنَ التَّوَنُّرِ



تَعَدَّ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ دَارَ حَدِيثٍ صَرِيحٍ بَيْنَ لُوسٍ وَشِيرلي. قَالَ لُوسُ: «سَأَقْدَمُ اسْتِغْفَالَتي
عِنْدَ مُعَدِّرَةِ عَائِيَةِ بِمُسُونِ هَذَا الْمَرْزَلِ. لَسْتُ مُسْتَعِدًّا لِتَحْمَلِ الْمَرِيدِ مِنَ الْإِهَانَاتِ عَلَى يَدِ
الشَّيْخِ بِمُسُونِ. لَقَدْ تَحَمَّلْتُهَا سَابِقًا مِنْ أَجْلِ هَنري. وَعِنَّمَا سَأَتُرْكُهُمْ لَا بُدَّ مِنْ أَنِّي
سَأَشْتَقُ إِلَيْهِ، عِوَضًا أَنَا سَبَقْتُ عَلَى اتِّصَالِهِ»

فَقَالَتْ شِيرلي بِلَهْجَةٍ لَا تَخُوفٍ مِنَ الْإِعْجَابِ: «أَنْتِ شَخْصٌ قَوِيٌّ وَعَنِيدٌ يَا سَيِّدُ مُورِ.
لَكِنْ مَاذَا سَتَفْعَلُ بَعْدَ أَنْ تَتْرَكَ عَمَلَكَ عِنْدَ الشَّيْخِ بِمُسُونِ؟»

أَجَبَتْ لُوسُ: «سَوْفَ أَهْجُرُ إِلَى كَنْدِ. حَانَ الْوَقْتُ لِاسْتِعْبَادِ حُرِّيَّتِي. لَقَدْ دَهَرْتُ
الثَّلَاثِينَ. وَبَعْدَ سَنَوَاتِ الْعَذَابِ وَالْعَرَاةِ أَنِّي عِشْتُهَا. كُلُّ مَا أَنْغِيَهُ هُوَ الْحُرِّيَّةُ وَالْإِسْتِقْلَالُ»
فَقَالَتْ: «أَجَلٌ، لَقَدْ اعْتَدْتُ عَلَى الْعُرُوبَةِ! إِلَّا أَنَّكَ قَدْ تَغَيَّرَ إِذَا خَظِيتُ بِإِخْدَى
الْأَرَامِلِ الثَّرِيَّاتِ!»

فَرَدَّ لُوسُ مُخْتَصِرًا: «لَا. لَنْ أُنْزِلَ أَبَدًا امْرَأَةً تَحْكُمُ بِي بِشُرُونِهِ!»
وَعَقَّتْ شِيرلي عَلَى كَلَامِهِ: «أَرَى أَنَّكَ شَدِيدُ الْعُرُوبِ!»
وَقَرَأَ لُوسُ بِصُحَّةٍ هَذَا الْحُكْمَ قَائِلًا: «هَذَا صَحِيحٌ، إِنِّي فَقِيرٌ. وَلَكِنِّي أَبِي أَعْرِفُ
مَثَرَاتِي فِي الْمُجْتَمَعِ!»

فَهَنَفَتْ شِيرلي. «وَأَنَا امْرَأَةٌ. وَأَعْرِفُ أَيْضًا مَثَرَاتِي فِي الْمُجْتَمَعِ.»
وَتَرَدَّدَ لُوسُ هُتَيْهَةً لِأَنَّهُ أُيْقِنَ أَنَّ حَدِيثَهُمَا قَدْ أَصْبَحَ خَرَجًا. غَيْرَ أَنَّهُ أَرْدَفَ بِرُودَةٍ:
«أَطْنُ أَنَّكَ مِثْلِي لَا تُفَكِّرِينَ بِالزَّوْاجِ. فَقَدْ رَفَضْتِ. عَلَى مَا أَعْتَقِدُ. أَرْبَعَةَ طَبَاتِ زَوَاجٍ
آخِرُهَا طَلَبُ الشَّيْرِ فِيلِبِ نَائِلِي.»

فَسَأَلَتْهُ شِيرلي هَارِثَةً «وَهَلْ طَلَبْتَ أَنِّي سَأَقْبَلُ عَرَضَهُ؟ إِنَّهُ يَنْطَرِي فِي عَايَةِ الْمُبِيعَةِ.
وَأَمَّا أَحْتَاجُ زَوْجًا قَوِيًّا الشَّخْصِيَّةِ يُرْشِدُنِي وَيُوَحِّهُنِي.»

قَالَ لُوسُ: «أَحَلْ. إِنِّي أَعْرِفُ ذَلِكَ. أَنْتِ بِحَاجَةٍ إِلَى مُرُوضٍ قَوِيٍّ.»
فَسَأَلَتْهُ شِيرلي بِشَيْءٍ مِنَ الْعَبْثِ: «أَتَعْتَقِدُ أَنِّي مَا زِلْتُ أَحْتَاجُ إِلَى مُوَحِّهِ وَمُدْرَسٍ؟»

وَرَدَ قِيلًا: «الآن تُسَخِّرِينَ مِنِّي مِهْنَتِي»
فَقَالَتْ: «أَجَلْ وَأَسْخَرُ مِنْ غُيُوبِكَ الْآخَرَى أَيْضًا»
وَمَسَّهَا: «مِنْ فَقرِي مَثَلًا؟»

فَأَحَدَتْهُ: «هَذَا صَحِيحٌ. لِأَنَّكَ لَا تَقِلُّ بِهِ بِكُلِّ نَسْطَةٍ، إِنَّكَ تُطِيلُ التَّفَكِيرَ بِالْمَقَرِّ لَا تَلْ
تَعْتَرُ بِهِ»

قَالَ: «أَبِي فِي الْوَاقِعِ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا أَقْدَمُهُ لِأَيِّ امْرَأَةٍ سِوَى شَخْصِيَّتِي الصَّادِقَةِ»
فَهَضَّتْ شِيرْلِي وَاتَّجَهَتْ إِلَى الْمَابِ. غَيْرَ أَنَّ لُويْسَ نَسَفَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْزَمَ: «لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ
تَخْرُجِي قَبْلَ أَنْ تُنْهِيَ كَلَامًا لَمْ أَعُدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْطِ مَشَاعِرِي»
فَقَالَتْ شِيرْلِي وَفَتْ صَدَمَهَا كَلَامُهُ: «يَا سَيِّدُ مَوْرَ مَاذَا خَرَى لَكَ؟ هَذَا يَشِي مِنْ طَنَعِكَ،
مَاذَا تَعْنِي؟»

قَالَ: «إِنَّكَ تَعْرِفِينَ مَا أُعْجِبُ بِالْقَبْطِ، أَبِي أَنْحَى عَنِ دَوْرِ الْمُدْرَسِ الْمُرْتَبِدِ وَأَقْدَمُ
لَكَ الْإِنْسَانَ الْمُحِبَّ».

فَتَقَدَّمَتْ شِيرْلِي نَحْوَهُ وَأَعْطَتْهُ بِذَها. فَقَالَ لُويْسُ صَاحِكًا: «هَا هِيَ دِي تَلْعِبْزَتِي!»
فَأَجَابَتْ شِيرْلِي صَاحِكَةً: «يَا مُعَلِّمِي».

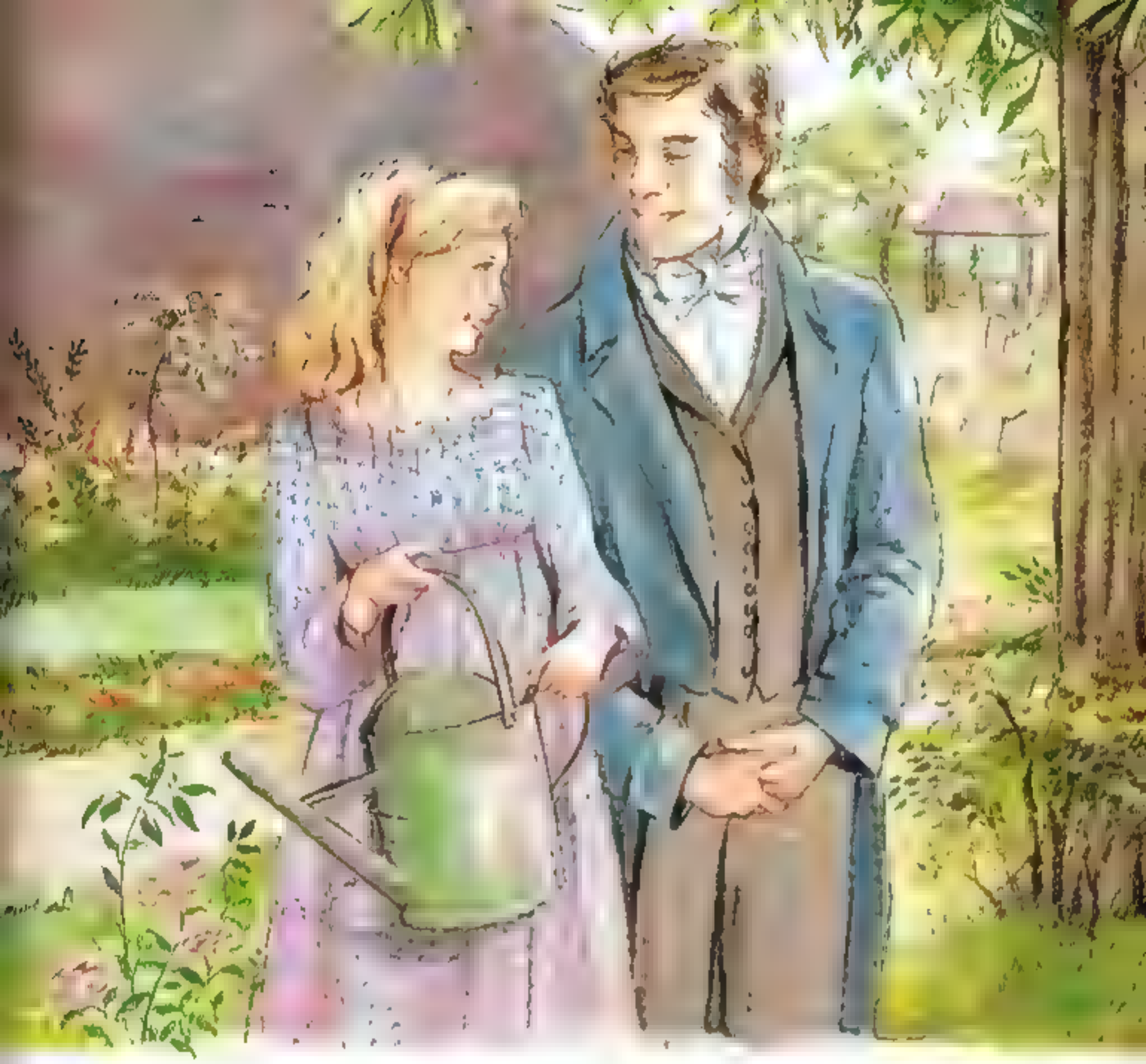
عِنْدَئِذٍ أَقْصَى لَهَا لُويْسُ بِسَرِيرَةٍ نَفْسَهُ قَائِلًا: «يَا عَرِيزَتِي شِيرْلِي إِنِّي أَهِيْمُ بِكَ مُنْذُ
أَزْعَ سِنَوَاتٍ. أَنَا أَحْسَنُ كُلِّ كَبِيرٍ وَبِكُلِّ قُوَايَ هَا قَدْ أَفْلَحْتُ مِنِّي الْحَقِيقَةُ أَحْبَرًا»
لَنْ أَفْقِدَكَ أَبَدًا! هَلْ تَوَافَقِينَ عَلَى الزَّوْاجِ مِنِّي؟»
سَأَلَتْ شِيرْلِي: «هَلْ أَصْغَحَا مُتَسَاوِيَيْنِ أَحْبَرًا؟»

فَقَالَ: «الْمُهْمُ أَنْ يَقِلَّ كُلُّ مِمَّا الْآخَرُ كَمَا هُوَ فَأَنْتَ لِي دَائِمًا»
قَالَتْ: «يَا عَرِيزَتِي لُويْسُ، لَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ أَبْرَحَ لَكَ بَحْتِي. فَكُلُّ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ
هُوَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَا تَعْنِي لِي شَيْئًا مَا لَمْ أَقْصِهَا بِحَابِكَ. لَكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ شَيْئًا وَاحِدًا:
عَلَيْكَ أَنْ تَعِدَنِي بِأَنَّكَ لَنْ تَذْكُرَ أَبَدًا الْمَالَ أَوْ الْمَنَكَ أَوْ الْفَقْرَ أَوْ عَدَمَ الْمُسَاوَاةِ؛ كُنْ
رَفِيقِي فِي دَرْبِ الْحَيَاةِ وَاتَّقِ سَيِّدِي الْمُحِبَّ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ!..»

عندهم عليه السيد يسامسون أن شيرلي قُبِلَت الروح من لويس مور حُرَّ جُنبه. وأهان
لويس بِمُحْصِرِ شيرلي أمّا لويس فَقَدْ فَقَدَ صَبْرَهُ وَهَجَمَ عَلَى لَسَانِ يسامسون وَمَسَكَهُ مِنْ
عُنُقِهِ وَأَحْدَهُ عُنُودًا إِلَى عُرْفَةِ الْمَكْتَبَةِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ بِصَوْتٍ حَادٍّ. «لَمْ أَعُدْ خَدِمَتِكَ يَا سَيِّدُ
يسامسون. عَلَيْكَ أَنْ تَتْرَكَ فَيَدِيدَ فِي الْحَائِ. يُرِيدُنِي فَقْدَانُ هنري لِكَيْ أُعْطِيَ أَنِّي سَأُرَاهُ
مِنْ حَدِيدٍ. وَأُحَذِّرُكَ مِنْ تَدَحُّرِ بِشُؤُونِهِ مِنْ سَتُضَيِّعُ رَوْحَتِي.»

وَعَدَ أَنْ تَقُودَهُ بِهَذَا التَّهْدِيدِ الْأَحِيرِ أَعْتَقَ بَابَ الْمَكْتَبَةِ بِعُنْفٍ فِي وَجْهِ السَّيِّدِ يسامسون
وَهَكَذَا أَخْرَجَهُ مِنْ حَيَاتِهِمَا نَهَائِيًّا. أمّا شيرلي قَبِلَتْ عِجْزَةً عَنِ الْكَلَامِ مِنْ شِدَّةِ إِعْجَابِهَا
بِتَصَرُّفِ لويس الْجَرِيءِ الَّذِي عَثَرَ عَنْ سُيُفَةٍ مَا بَعْدَهَا سُيُفَةٌ.





وَبَيْنَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ الْمَحَلِّيَّةُ الْمُثِيرَةُ تَأْخُذُ مَحَارَهَا فِي يُورْكَشِيرِ ذَلِكَ لِصَيْفٍ،
أَخَذَتْ مَسِيرَةَ التَّارِيخِ تَبَدُّلٌ فِي الْخَارِجِ آتِيَّةً بِتَغْيِيرَاتٍ خَدِيدَةٍ إِلَى سُكَّانِ إِنْكَلْتِرَا. فَفِي
إِسْبَانِيَا أُحْكِمَ جَيْشٌ وَلِغَتُونَ سَيْطَرَتُهُ عَلَى نَافُولِيُونِ وَهَزَمَ الْمُرْتَشِيُونَ فِي بَدَاخُسِ وَبِمُتْپُونِه
ثُمَّ فِي سَمَنْقَه. بَعْدَ ذَلِكَ رَفَعَتِ الْحُكُومَةُ الْبَرِيطَانِيَّةُ الْحِصَارَ. فَرَحَّتِ الْمَرَايِي الْأُورُوبِيَّةُ
بِالتَّسَادُلِ الشَّحَارِيِّ مِنْ جَدِيدٍ. فَعَمَّ الْفَرَحُ الشُّجَارَ وَالصَّاعِيَيْنِ فِي يُورْكَشِيرِ وَلَانْكَشِيرِ لِتَزُورِ
فَخَرِ خَدِيدٍ مِنَ الْأَرْدِهَارِ، وَتَطَلَّعَ الْعَمَالُ بِأَمَلٍ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ يُشِيرُ بِالْبُخْبُوحَةِ.

كَانَتْ كَارولين في حديقَةِ بَيْتِ عَمَّتِهَا القَيْسِ تَشْقِي الأَرْهَارَ حَيْثَمَا شَعَرَتْ بِذِرَاعِ
تَصَوُّقٍ حَضَرَهَا. فَانْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ وَفَوَّحَتْ بِرُؤْيَا روبرت وَاقِعًا بِقُرْبِهَا.
قَالَتْ لَهُ: «كُنْتُ بِإِنْتِظَارِكَ. أَيْنَ كُنْتَ؟»

أَحَابَ: «مِى فِلْدِهْدِ حَيْثُ كُنْتُ بِزِيَارَةِ الحَيِّثِ شيرلي ولويس. لَمْ تَتَصَرَّفْ شيرلي
بِهَذَا الشُّكْلِ مِنْ قَبْلُ: نَقْدٌ وَضَعَتْ أَمْلَاكَهَا تَحْتَ إِمْرَةِ لُويس. وَهِيَ تَرْفُضُ أَنْ تَتَّجِدَ
بِنَفْسِهَا أَيْ قَرَارٍ بِشَأْنِهَا مِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا. إِنِّي لِأَتَسَاءَلُ كَيْفَ سَيَتَدَوَّرُ لُويس أُمُورَ
الْعَمَلِ.»

قَالَتْ كَارولين: «لَا تَقْنُقْ... يَبْدُو أَنَّهُمَا مُتَسَاعِمَانِ. إِنِّي أُعْتَقِدُ - وَإِنْ بَدَا دِيكَ غَرِيبٌ - أَنَّ
غَرَائِبَ تَصَرُّفَاتِ شيرلي هَدِيَهُ تَسْمِي حُبِّ لُويس لَهَا. وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَادِرُ عَلَى فَهْمِهَا وَإِرْصَادِهَا»
وَتَلَعَ مَسْمَعَهُمَا قَرْنُ الأَخْرَاسِ ابْتِهَاجًا فِي حَمِيمِ الْقَرَى. فَسَأَلَهَا روبرت: «لِمَادَا تُقْرَعُ
الأَخْرَاسُ؟» قَالَتْ: «لَقَدْ صَدَرَ عَنِ الْمَخْلِيسِ قَرَارٌ بِإِلْعَاءِ التَّدَابِيرِ الاِقْتِصَادِيَّةِ السَّابِقَةِ. ذَلِكَ
يَعْنِي أَنَّ الأَزْدِمَارَ سَيَعُودُ إِلَى الْبِلَادِ.»

فَقَالَ روبرت: «أَخُلْ لَا أَنْصُورُ أَنِّي كُنْتُ عَلَى وَشَلِكٍ أَنَّ أُخْرِمَ حَقَائِيبِي لِأَسْفَرِ بَحْرًا
إِلَى كَنْدَا هَرَبًا مِنَ الإِفْلَاسِ الْمُخْلِيقِ بِي. وَسَعْيًا وَرَاءَ حَمْعِ الْعَالِدِ. رُبَّمَا يَرْفُقُهُ لُويس.»
صَحَتْ كَارولين: «مَاذَا تَقُولُ؟؟ أَكُنْتُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلشَّخْلِ عَنِّي أَمَا؟ وَتَشَبَّهْتُ
بِذِرَاعِهِ كَأَنَّهَا تَتَأَكَّدُ مِنْ وَحُودِهِ بِقُرْبِهَا.

فَأَجَابَهَا روبرت مُبْتَسِمًا: «فِي الْمَاضِي الْقَرِيبِ نَعَمْ لَكِنْ لَيْسَ الْآنَ. فَقَدْ أَتَقَدَّثِي
بِهَابَةِ الْحِصَارِ. لَنْ أَفْلِسَ بَعْدَ الْآنَ. بَلْ سَأَتَمَكُّ مِنْ تَشْدِيدِ ذُبُونِي بِكَامِيهَا. سَتُبَاعُ
الْأَقْمِشَةُ الْمَخْرُوءَةُ فِي الْمَصْنَعِ وَيُرَدَّادُ الطَّبْتُ. وَهَذَا مَا سَيُوقِنُنِي لِاسْتِخْدَامِ الْقَرِيدِ مِنَ
الْعَمَارِ وَتَرْكِيبِ آلَاتِ حَدِيثَةٍ وَتَحْسِيرِ الْأَجُورِ. الْآنَ أَصْبَحَ يُوشَعِي أَنَّ أَقْوَمَ بِإِتْجَارِ
رَائِعٍ. وَأَنْ أُسْتَمَرَّ هُنَا.» وَتَوَقَّفَ قَلِيلًا عَنِ الْكَلَامِ وَقَدْ أَثَارَتْهُ هَذِهِ التَّطْعَمَاتُ الْمُشْرِقَةُ إِلَى
الْمُسْتَقْبَلِ ثُمَّ أَرْدَفَ بِصَوْتٍ حَامِيٍّ «وَأَحِيرًا أَسْتَطِيعُ التَّحْتَ عَنْ زَوْجَةٍ تُاسِسِي!»

ولم تيسر كارولين بيت شقة، فتبع روبرت قائلا: «هل يمكنك سيد الام التي
تسببها لك؟ هل يمكنك ان تسامحيني على اطاعي القضاة وسوء نهمي لشعرك
سيدة» سائرهم لك عن إخلاصي وحيي العميق»

أحابت كارولين بلمسة رفيعة من يدها، وقد تنازعها القرح والرغبة في البكاء.
وسألها: «هل كارولين هي لي الآن؟»

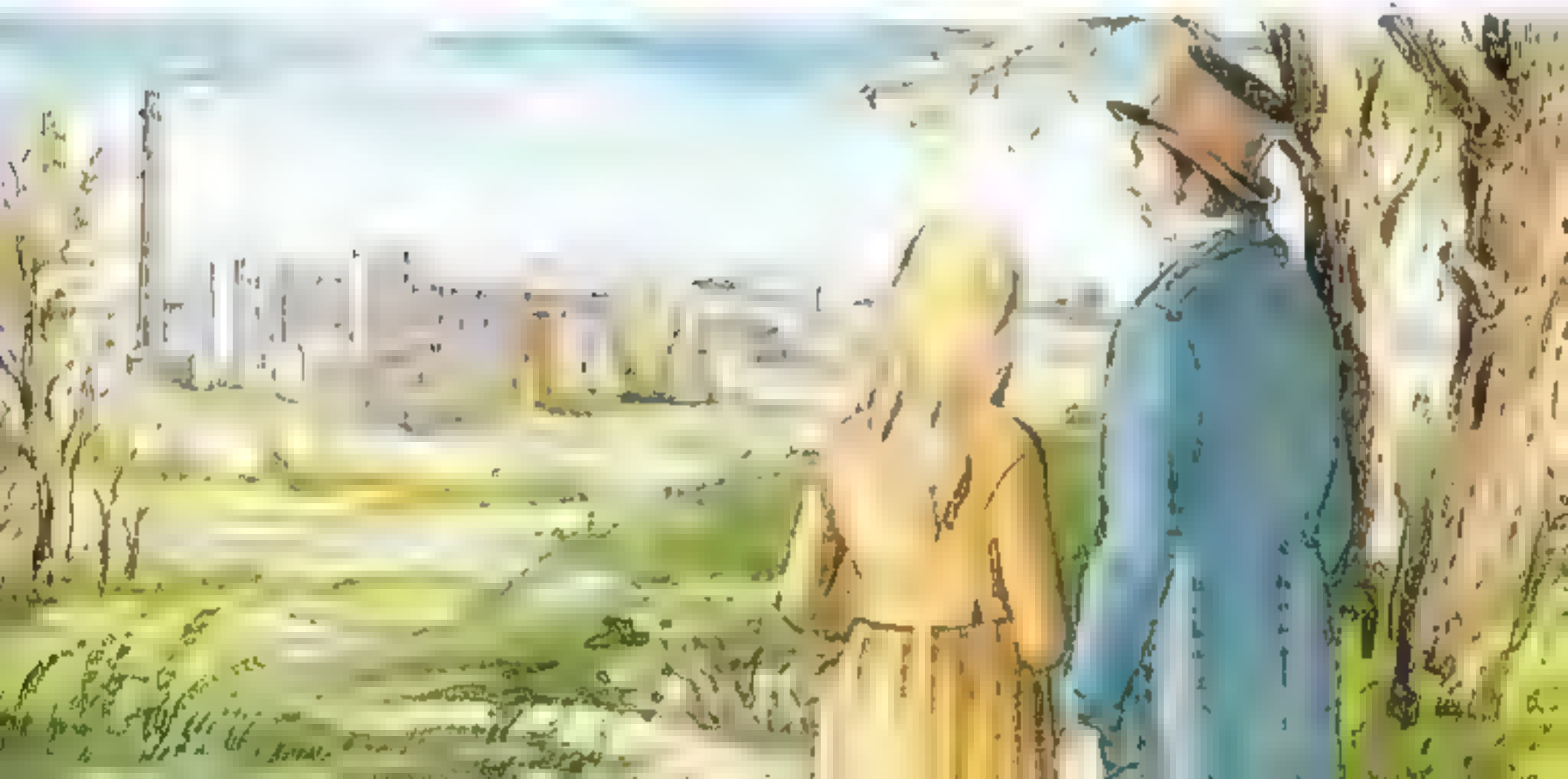
فأني جوابها: «كارولين لك أنت وخلتك يا روبرت! أنت ختي الوحيد. مما أخست
عيزك قط. أبعلك يأتي مأكوس حياتي لك - وأعلم أن أتي مشرك روحا شهاج»
وفي شهر آب (أغسطس) قرعت لأخراس مرة أخرى انتهاء تنصيرات ولغوب
الحديدة على بوبيون. وترام ذلك مع فرحة عقد روفيل وأضعت لزينة مظهر الشهجة
على أبرشية برايرفيلد، وأقيمت الاختلالات في فيلدهد ومضمر هولو.

في ذلك اليوم، شهدت كنيسة برايرفيلد حفلتي زفاف: زواج لويس جيرارد مور من
شيرلي آنة تشارلز كيندار مالك فيلدهد الزوج، وزواج روبرت جيرارد مور. صاحب
مضمر هولو من كرويس هنسون لنة أحي الكاهن متيوس هلستون، راعي برايرفيلد.
أخرى مرسوم الزواج الأول، السيد هنسون وقد قد استبد حيرام بورث عروس إلى
حطبها، وقام بتراسم الزواج الثاني السيد هول قسيس نايلي، وبين مرافقي لعريس
كان الإتيان الشبان السيد هري سنسون والسيد مارتن بورث، فلان قد دعا دورا
هاتما - وإن كان صغيرا في إتمام الزواجين



خَدَّتْ فِي الْمِنَظَةِ تَطَوُّرَاتٌ هَامَةٌ جَلَالُ السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي تَلَتْ وَفِي مَصْنَعٍ هَوَلُو تَحْقُوقَ
حُلْمِ روبرت مور أخيراً فَتَجَسَّدَ جِجَارَةٌ وَخَدِيدٌ. عَيْرَ أَنَّ هَوَاجِسَ كَارُولِيسَ بِشَأْنِ تَشْوِيهِ الطَّبِيعَةِ لَمْ
تُبْرَزْ قَطُّ. لِأَنَّ أَرْضَ يُونِكَنِيشِرِ الشَّابِيعَةِ كَانَتْ كَافِيَةً لِاسْتِيعَابِ هَذِهِ الْمُسْتَحْجَذَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ. وَنَمْ
يُقْتَلَعُ مِنَ الْأَشْجَارِ شَيْءٌ يُذَكَّرُ وَلَمْ يَتَلَوَّثِ الْهَوَاءُ وَارْتَفَعَ مَكَانَ الْمَصْنَعِ الْقَدِيمِ مَصْنَعٌ خَدِيدٌ
صَخْمٌ تَطَاوَلَ مَدْنَحَتُهُ نَحْوَ السَّمَاءِ. وَخَلَّتِ الطَّرِيقَاتُ الْعَامَّةُ مَكَانَ الْأَرَقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَتَحَنَّنُ فِيهَا
الْبِيَاهُ وَالْأَوْحَالُ. وَنَى الْعَمَالُ أَنْفُسَهُمْ أَكْوَاحًا أُنِيفَةً وَنَمْ تَشْيِيدُ مَدْرَسَةِ خَدِيدَةٍ وَفَرَّ الْمَصْنَعُ
مُرْتَبَاتٍ مُعَلِّمِيهَا، وَنَمْ إِنْشَاءُ بَادٍ وَخَدِيدَةٍ عَامَّةٍ وَمَنْعَبٍ لِلْأَطْفَالِ. وَمَا أَصْفَى عَلَى تِلْكَ الْمِنَظَةِ
صِنْعَةُ حَصَارِيَّةٍ لَمْ تَتَحَلَّ بِهَا مِنْ قَبْلُ، وَسَادَ شُعُورٌ جَدِيدٌ مِنَ الْوَعْيِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَعَبَّرَ صَحِيحُ
الآلَاتِ فِي الْمَصْنَعِ عَنِ الْإَزْدِهَارِ الَّذِي نَبَعَتْ بِهِ الْمِنَظَةُ، نَتِيجَةُ لَارْدِيَادِ الطَّلَبِ الْعَالَمِيِّ عَلَى
نَسِيحِ يُونِكَنِيشِرِ الْخَيْدِ بِالإِضَافَةِ إِلَى نَشَاطِ روبرت مور وَخِرَازِيهِ فِي الْبِرَامِ الْمَشَارِيعِ الْكَبِيرَةِ.
وَسَرَّعَانَ مَا بَسَتْ الْقُوَّةُ الْعَامِلَةُ وَتَكَاثَرَتْ أَنْوَاعُ الصَّنَاعَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُمَوِّنُ الْمَصْنَعِ.

وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ، ظَلَّتْ مُرُوحُ الْمِنَظَةِ تُهَيِّمُ عَلَى احْتِشَادٍ عَيْرَ مُكَثَّرَةٍ بِالْأُنْبِيَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي
تُقَامُ وَسَطَهَا، وَطَلَّ حَرِيرُ الْحَدَاوِلِ فِي قَعْرِ الْأُزْدِيَةِ يُرَدِّدُ صَدَى الْحَادِ الطَّبِيعَةِ الصَّابِيَةِ.





شارلوت بروثي

وُلِدَتْ شارلوت بروثي سَنَةَ ١٨١٦ فِي يُورْكشِير. وَالِدُهَا بَاتْرِيكْ بروثي، قَتِيسُ إِيرْلَنْدِي الْأَصْلِ، وَوَالِدَتُهَا إِنْكَلِيزِيَّةٌ مِنْ كُورْنُوَل. كَانَتْ شارلوت الثَّالِثَةَ بَيْنَ خَمْسِ بَنَاتٍ وَصَبِيٍّ وَاحِدٍ. وَإِثْرَ وَفَاةِ وَالِدَتِهَا سَنَةَ ١٨٢١ انْتَقَلَتِ الْعَائِلَةُ إِلَى هَاوَرْتْ حَيْثُ عُمِنَ الْوَالِدُ كَاهِنًا لِتِلْكَ الْقَرْيَةِ الْمُحَاطَةِ بِالثَّلَالِ وَالْمُرُوجِ.

طَابَ الْعَيْشُ فِي الْمَثَرِلِ الْمُعَدِّ لِعَائِلَةِ بروثي إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُعْتَمًا وَمُشْرِفًا عَلَى مَدَافِنِ الْقَرْيَةِ. وَلَمَّا أَصْبَحَتْ شارلوت فِي الثَّامِنَةِ مِنْ عُمْرِهَا غَادَرَتْ وَأُخْتَهَا الصُّغْرَى إِمِيلِي الْبَيْتَ لِتَلْتَحِقَا بِمَدْرَسَةِ كُوانْ بَرِيْدَج. كَانَتْ الْحَيَاةُ الْمَدْرَسِيَّةُ هُنَاكَ فِي غَايَةِ الْقَسَاوَةِ، وَعِنْدَمَا تُوقِفَتْ سَقِيقَتَا شارلوت الْكُبْرَيَيْنِ إِثْرَ إِصَابَتِهِمَا بِدَاءِ الثَّلِّ، أُزِيلَتِ شارلوت وَإِمِيلِي إِلَى مَثَرِلِهِمَا. وَمِنْ تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ اسْتَوْحَتْ شارلوت صُورَةَ الْمَدْرَسَةِ الْقَائِمَةِ فِي رِوَايَةِ «جِين إِير».

فِي غِيَابِ الْأُمِّ أُطْلِقَ لِلْأَوْلَادِ الْأَرْبَعَةِ الْبَاقِينَ الْعِنَانُ، فَرَاخَتْ شارلوت - وَهِيَ أَكْبَرُهُمْ - وَإِخْوَتُهَا بَرَاثُولَ وَإِمِيلِي وَآنَ يَجُولُونَ فِي الْأَرْضِ الْمُوحِشَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَثَرِلِهِمْ وَيَخْتَلِقُونَ مِمَّا لَكَ

خَيَالِيَّةٌ وَيَحْكُونَ الْقِصَصَ حَوْلَ شُعُوبِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. فَكَانَ لِتِلْكَ الْبَيْتَةِ تَأْثِيرٌ عَمِيقٌ عَلَى حَيَاةِ كُلِّ أَبْنَاءِ بَرُونْتِي وَعَلَى مُؤَلَّفَاتِهِمْ.

عَمِلَتْ شَارْلُوتُ فِي صِبَاها كَمُكْرِمَةٍ، لَكِنَّها وَجَدَتْ هَذِهِ الْمِهْنَةَ مُضْنِيَّةً وَمَلِيَّةً بِالْمَحْنِ. وَهَذَا مَا حَدَا بِالأَخَوَاتِ الثَّلَاثِ إِلَى التَّفَكُّيرِ بِتَأْسِيسِ مَدْرَسَتِهِنَّ الْخَاصَّةِ. فَذَهَبَتْ شَارْلُوتُ وَإِمِيلِي إِلَى بَرُوكْسِلِ حَيْثُ مَارَسَتَا مِهْنَةَ التَّعْلِيمِ وَحَاوَلَتَا تَحْسِينَ مُسْتَوَاهُمَا فِي اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ. وَهُنَاكَ مَرَّتْ شَارْلُوتُ بِتَجْرِبَةٍ مُرَّةٍ، فَقَدْ وَقَعَتْ فِي حُبِّ زَوْجٍ صَاحِبَةِ الْمَدْرَسَةِ.

لَمْ يَتَحَقَّقْ مَشْرُوعُ الأَخَوَاتِ الثَّلَاثِ فِي تَأْسِيسِ مَدْرَسَةٍ. غَيْرَ أَنَّهُنَّ وَاظَبْنَ عَلَى التَّالِيفِ. وَأَصْدَرْنَ مَجْمُوعَةً قَصَائِدَ. وَفِي سَنَةِ ١٨٤٦ تَمَكَّنَتْ آنُ وَإِمِيلِي مِنْ نَشْرِ بَعْضِ أَعْمَالِهِمَا. أَمَّا شَارْلُوتُ فَانْتَظَرَتْ سَنَةً أُخْرَى قَبْلَ أَنْ تُنْشَرَ رِوَايَتُهَا «جِين إِير» وَتَنَالَ نَجَاحًا قَوْرِيًّا.

إِلَّا أَنَّ الْحُزْنَ طَغَى عَلَى الثَّلاثَيْنِ تَبَعًا هَذَا الْحَدَثِ - فَقَدْ تُوُفِّيَ بَرَانُولُ وَإِمِيلِي وَأَنَّ بِدَاءِ الشَّلْلِ. أَمَّا شَارْلُوتُ فَوَاظَبَتْ عَلَى الْكِتَابَةِ وَنَشَرَ الرِّوَايَاتِ - وَمِنْ بَيْنِهَا «شِيرلي» (١٨٤٨) - وَنَالَتْ مَكَانَةً مَرْمُوقَةً فِي الْأَوْسَاطِ الْأَدَبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْفِكْتُورِيِّ. وَفِي سَنَةِ ١٨٥٤ تَزَوَّجَتْ مِنْ نَبُولَا بِلَ مُسَاعِدِ أَبِيهَا الْكَاهِنِ، لَكِنَّها تُوُفِّيَتْ بَعْدَ مُرُورِ بَضْعَةِ أَشْهُرٍ عَلَى زَوَاجِهَا، وَهِيَ فِي الثَّامِنَةِ وَالثَّلَاثِينَ.



كتب الفراشة - القصص العالمية

- ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد
- ٢ - أوليفر تويست
- ٣ - نداء البراري
- ٤ - موبي دك
- ٥ - البحار
- ٦ - المخطوف
- ٧ - شبح باسكرفيل
- ٨ - قصة مدينتين
- ٩ - مونفليت
- ١٠ - الشباب
- ١١ - عودة المواطن
- ١٢ - الفندق الكبير
- ١٣ - حوّل العالم في ثمانين يوماً
- ١٤ - رحلة إلى قلب الأرض
- ١٥ - كنوز الملك سليمان
- ١٦ - سائلس مارثر
- ١٧ - شيرلي
- ١٨ - رحلات غاليفر
- ١٩ - بعيداً عن صخب الناس
- ٢٠ - مغامرات هاكلبري فين
- ٢١ - ديفيد كورفيلد
- ٢٢ - البيت المؤجّش (بليك هاؤس)
- ٢٣ - المهر الأسود (بلاك بيوتي)



كتب الفراشة

القِصص العالمية ١٧. شيرلي

رواية «شيرلي» لشارلوت برونتي تُصوِّر الحياة والكَوْن صراعًا متواصلًا على كُلِّ الصُّعْد، كَصراعِ الإنسان مع نفسه لِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ ما يُريد، ومُقاومته للعادات والتقاليد الضاغطة، ومُحاولته التغلُّب على الأوضاع السَّياسِيَّة والاقتصاديَّة التي تُؤثِّر على شُؤون حياته. وهناك صراعٌ بين فئات البشر الذين تتضارب مصالحهم، بالإضافة إلى التَّجاذب القائم بين الطَّبيعة وضرورات التَّصنيع والعُمران التي تبتلعُ معالِمها وتُشوِّهها.

لَكِنَّ الرِّواية تُنتهي إلى أَنَّ مَسيرة الحياة تُقنِضي التَّعقُّل والتَّوفيقَ بين هذِهِ القُوى المُتصارعة.



مَكْتَبَةُ لِبْنَاتِ نَاشِرُونَ



01C196817